

١٠٠ قصة من الزهاد

مجدي فتحي السيد

١٠٠ قصة من الزهاد

المكتبة التوفيقية


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



١٠٠ قصة من الزهاد

مجدي فتحي السيد



أمام الباب الأخضر - سيدنا الحسين
ت: ٥٩٠٤١٧٥ - ٥٩٢٢٤١٠

بين يدي الكتاب

الحمد لله وكفى ، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى ، وبعد .

فمن المعالم التربوية التي صارت من الحقائق أن وجود عنصر القدوة الحسنة من أهم العوامل المؤثرة في إعداد شخصية المسلم.

وفي هذا الكتاب نحيا مع مواقف من حياة الزهاد والعباد من سلفنا الصالح، وهم خير قدوة بعد رسول الله ﷺ، فلقد كانوا يمثلون الشعلة المتوهجة المتطلعة دائمًا إلى مرضاة الله سبحانه وتعالى.

ومن خلال تصفحنا لهذا الكتاب سنجد الأمثلة الرائعة من الشمائل النبيلة، والحكم الرفيعة من أخلاق سلفنا الصالحين، وذلك أدعى للتأسى بأفعالهم، والاقتداء بأقوالهم.

ولاشك أن من أسباب الركود الحضارى، بل من أهم أسبابه هو جهل أبناء الأمة بسلفهم الصالح الذين جابوا البلاد، وسعوا في هداية العباد، حتى نالوا مغفرة ورضا رب الأرض والسماء.

فلنحيا مع قصص الزهاد والعباد سائلين الله أن يشرح صدورنا للعمل بكتابه، والأخذ بسنة نبيه ﷺ، والاقتداء بهؤلاء القوم، فالخير كل الخير في اتباع من سلف، والشر كل الشر في ابتداع من خلف، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

مجدي فتحي السيد

(١) قصة عابد البصرة عند الموت

كان بالبصرة عابدٌ قد أجهده الخوف، وأسقمه البكاء وأنحله، فلما حضرته الوفاة جلس أهله حوله يبكون، فقال لهم:

أجلسوني، فأجلسوه، فأقبل عليهم وقال لأبيه: يا أبت ما الذي أبكاك؟!

قال : يا بني، ذكرت فقدك، وانفرادي بعدك.

فالتفت إلى أمه وقال: يا أماه، ما الذي أبكاك ؟!

قالت: يا بني ، لتجرعي مرارة ثكلك.

فالتفت إلى زوجته وقال: ما الذي أبكاك ؟!

قالت: لفقد برك، وحاجتي لغيرك.

فالتفت إلى أولاده، وقال: ما الذي أبكاكم؟!

قالوا: لذل اليتم، والهوان بعدك.

فعند ذلك نظر إليهم وبكى، فقالوا: ما يبكيك أنت؟

قال: أبكي لأني رأيت كلاً منكم يبكي لنفسه لا لي، أما فيكم من يبكي طول سفري؟!

أما فيكم من يبكي لقلة زادي ؟!

أما فيكم من يبكي لمضجعي في التراب ؟!

أما فيكم من بكى لما ألقاه من سوء الحساب؟!

أما فيكم من بكى لموقفي بين يدي رب الأرباب؟!

ثم سقط على وجهه فحركوه، فإذا هو ميتٌ[١].

❀❀❀

(١) انظر: المواعظ والمجالس (ص/١١٠) لابن الجوزي.

(٢) قصة العابد الذي مات خوفًا من النار

روى منصور بن عمار رحمه الله فقال:

حججتُ حجة فنزلت سكة من سكك الكوفة، فخرجتُ في ليلة مظلمة، فإذا بصارخٍ يصرخ في جوف الليل، وهو يقول: إلهي وعزتك وجلالك ما أَردتُ بمعصيتي إياك مخالفتك، ولقد عصيتك إذ عصيتك وما أنا بنكالك غافل،، ولكن خطيئة عرضت، أعانني عليها شقائي، وغرني سترك المُرخى عليَّ، وقد عصيتك بجهدي، وخالفتك بجهلي، فالآن من عذابك من يستنقذني؟

وبحبل مَنْ أتصلُ إن أنت قطعتَ حبلك عني؟!

واشباباه ! واشباباه !

فلما فرغ من قوله، قرأت من كتاب الله عز وجل: ﴿ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ ﴾ [١]. فسمعتُ حركة شديدة لم أسمع بعدها حسًا، فمضيت، فلما كان الغد رجعت في مدرجتي، فإذا أنا بجنازة قد وضُعت، وإذا عجوز كبيرة، فسألتها عن أمر الميت، ولم تكن عرفتني، فقالت: مرهَّنا رجلٌ لا جزاه الله إلا جزاءه!

مَرَّ بابني البارحة وهو قائم يصلي، فتلا آية من كتاب الله، فلما سمعها ابني تقطعت مرارته فوقع ميتًا[٢].

❀❀❀

(٣) قصة العابد في آخر اللحظات

يقول ابن السماك الواعظ رحمه الله:

كنتُ أطوف أطلُب العُبَّاد والزهاد، فُذكر لي رجل بعبادان، قد رفض الدنيا، وأقبل

(١) سورة التحريم: ٦.

(٢) انظر: المستدرك (٢/٤٩٤) للحاكم، وحلية الأولياء (٩/٣٢٧)، (١٠/١٨٧)، شعب الإيمان (٩٣٧) للبيهقي.

على الآخرة جدًا واجتهادًا، فأتيتُ عبادان، فسألت عنه، فوصف لي داره.

فأتيتُ إلى باب دارٍ كبيرة ليس عليها إلا باب بمصراعٍ صغيرٍ، فقرعتُ الباب، فخرجت إليَّ جارية، فقالت: من الطارق بالباب؟

قلت: أنا جارية، هذا منزل فلان العابد؟

قالت: نعم.

قلت لها: استأذني عليه، فإن أنا دخلتُ عليه وهبتُ لك درهمًا.

فقالت: يا عبد الله، ما رأيت أحدًا هو أجهل منك، ادخل فما على أبي من حاجب، وإنما الحُجّاب على أبواب الملوك، وأبناء الملوك، فبُهتُّ متعجبًا من قولها، ثم دخلتُ ودخلتُ معها، وإذا دار ليس فيها إلا بيت صغير، فدخلت البيت، فإذا أنا برجلٍ قد نحل من غير سقمٍ، وقد احتفر قبرًا عند رجليه، وقد دلّى رجليه فيه، وفي يده خُوصٌ يشقه، وهو يتلو هذه الآية: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ (١).

بصوتٍ حزينٍ ، فسلمتُ عليه فرد عليَّ السلام، وقال:

أمن إخواني أنت؟

قلت: نعم، ولستُ من أهل البصرة، ولا من أهل عبادان.

قال: فمن أين أنت؟

قلت: من أهل الكوفة.

قال: فما اسمك؟

قلت: محمد بن السماك.

قال: لعلك الواعظ؟

قلت: نعم.

قال: فأخذ يدي بيديه جميعًا، ثم قال لي: مرحبًا، وحياك الله يا أخي بالسلام، ومتعنا وإياك في الحياة الدنيا بالإخوان.

---

(١) سورة الجاثية: ٢١.

يا أخي.. ما زالت نفسي متطلعة إلى لقائك، تُحب أن تُعرض داءها على دوائك، أعلمك يا أخي أن بي جُرحًا قديمًا قد أعيا المعالجين قبلك، فتأتَّاه برفقك، وألصق عليه ما تعلم أنه يلائمه من مراهمك.

قال: فعلمت أن الرجل يريد أن أعظه،

فقلت: يا أخي، وهل يداوي مثلي مثلك؟!

وجُرحي أنغل من جرحك، وذنبي أعظم من ذنبك.

فقال: سألتك بالله إلا ما وعظتني؟ فقلت له: يا أخي، قد علمت أن ذنبك الذي أذنبت لم يمح، وأن لذاذتك لم تبق ، وأن الموت يطلبك صباحًا ومساءً، وأنك تصير غدًا إلى ضيق اللحود، وظلمة القبور، ومسألة منكر ونكير.

فلما قلتُ له ذلك: شهق شهقة خر في قبره، يخور كما يخور الثور إذا وُجئ في منحره وأقبلت امرأته وابنته تبكيان من وراء الحجاب وتقولان: سألناك بالله لا تزده شيئًا، فتقتله علينا.

فأفاق فقال: يا أخي، قد وافق دواءُك دائي، ولصق مُرهمك بجرحي، أخي ابن السماك، زدني.

فقلت له: يا أخي، إن أهلك وولدك قد حلفوني أني لا أزيدك شيئًا، فأقبل عليهم، وقال: اعلم يا أخي أنه ليس أحدٌ أشدَّ عليَّ وبالاً، ولا أعظم جُرمًا مني إذا وقفت بين يدي ربي من أهلي وولدي.

فقلت: يا أخي.. ما بعد ظلمة القبور، وضيق اللحود، ومسألة منكر ونكير إلا الطامة.

قال: وما هي يا ابن السماك؟ فقلت له : إذا أخذ إسرافيل في نفخ الصور، وبُعثر ما في القبور، وجئنا نحن بأثقالنا نحمل على الظهور.

فكم يا أخي في هذا اليوم من منادٍ يُنادي بالويل والثبور؟!

وأعظم من ذلك توبيخ الرب إيانا عند قراءة السيئات التي قد أحصى عليَّ، وعليك فيه النقير والفتيل والقطمير، وملائكة مُتَّزرون بأُزر من نار، غضاب لغضب الرحمن ينتظرون ما يقال لهم بالغضب: ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴾[(١)].

---

(١) سورة الحاقة: ٣٠ .

قال: فشهق شهقةً فخر في قبره كأنه ثورٌ قد وُجئ في منحره، فأقبلت ابنته، فاجتذبته وأسندته إلى صدرها ومسحت وجهه بكمها، وهى تقول: بأبي وأمي عينين طالما سهرتا في طاعة الله !!

بأبي وأمي عينين طالما غضتا عن محارم الله!!

فأفاق فقال لي: عليك السلام يا ابن السماك، أنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله(١).

❁❁❁

(٤) قصة العابد مع الأمير

يروى أبو يعلى البصري -رحمه الله – عن إسحاق بن عباد البصري قال: رأيت في منامي ذات ليلة قائلاً يقول: أغث الملهوف فانتبهت، فقلت: انظروا هل في جيراننا محتاج؟

فقالوا: ما ندري. فنمت ثانيًا فعاد إليَّ.

فقال: تنام و لم تغث الملهوف؟!

قال: فانتبهت، ونمت الثالثة فعاد إليَّ، فقمتُ فقلت للغلام:

أسرجْ البغل، وأخذتُ معي ثلاثمائة درهم، ثم ركبت البغل وأطلقت عنانه، فَمَرَّ فأخذ على مسجد الجامع، ثم مضى في سكة المربد، حتى خرج من الدروب إلى الجبانة فصار إلى المقابر، ثم عطف يُمنة إلى مسجد يُصلى فيه على الجنائز، فوقف البغل هناك، فنظرت فإذا رجل يصلي، فلما أحس بي انصرف فدنوتُ منه فقلت: يا عبد الله، في هذا الوقت، في هذا الموضع، ما أخرجك؟

فقال: أنا رجلٌ خواص كان رأس مالي مائة درهم فذهبت من يدي، ولزمني دينٌ مائتا درهم.

قال: فأخرجتُ الدراهم فقلت: هذه ثلاثمائة درهم فخذها، فأخذها.

فقلت: تعرفني؟ قال: لا.

---

(١) انظر: شعب الإيمان (٩٣١) للبيهقي.

قلت: أنا إسحاق بن عباد فإن نابتك نائبة فأتني فإن منزلي في موضع كذا، فقال: رحمك الله، بل إن تأتينا نائبة فزعنا إلى مَنْ أخرجك في هذا الوقت، حتى جاء بك إلينا(١).

❁❁❁

(٥) قصة فضل دعاء العابد للأسير

جاءت امرأة إلى ابن مخلد، فقالت: إن ابني قد أسره الرومُ، ولا أقدر على مال أكثر من دويرة، ولا أقدر على بيعها، فلو أشرتَ إلى مَنْ يفديه بشيءٍ، فليس له ليل ولاً نهار، ولا نوم ولا قرار.

فأطرق الشيخ وحرك شفتيه، فلبثنا مدة فجاءت المرأة ومعها ابنها وأخذت تدعو له، وقالت:

حديثٌ يحدثك به، فقال الشاب:

كنتُ في يدي بعض ملوك الروم مع جماعة من الأسارى، وكان له إنسانٌ يستخدمنا كلَّ يومٍ، فخرج إلى الصحراء لنخدمه، ثم يردًنا وعلينا قيودنا.

فبينما نحن نجيء بعد المغرب، انفتح القيد من رجلي، ووقع على الأرض، ووصف اليوم والساعة، فوافق الوقت الذي جاءت فيه المرأة، ودعا الشيخ.

قال: فنهض الذي كان يحفظني فصاح عليَّ، وقال: كسرتَ القيد؟!

قلت: لا إنه سقط من رجلي !!

قال: فتحيرَّ وأخبر صاحبه، وأحضر الحداد، وقيّدوني فلما مشيت خطوات سقط القيد من رجلي، فتحيروا في أمري، فدعوا رهبانهم، فقالوا:

ألك والدة؟.

قلت: نعم.

قالوا: قد وافق دعاؤها الإجابة، وقالوا: أطلقك الله فلا يمكننا أن نقيدك، فردوني وأصحبوني إلى ناحية المسلمين(٢).

---

(١) انظر : البر والصلة (٤٥٤) لابن الجوزي.

(٢) انظر: البر والصلة (ص/١١٧) لابن الجوزي.

(٦) قصة ذنوب العُبَّاد الثلاثة

قال كعب الأحبار رحمه الله:

اجتمع ثلاثة عُبَّاد من بني إسرائيل فقالوا: تعالوا حتى يذكر كل إنسانٍ منا أعظم ذنب عمله.

فقال أحدهم: أما أنا فلا أذكر من ذنبٍ أعظم من أني كنت مع صاحبٍ لي، فعرضت لنا شجرة فخرجتُ عليه ففزع مني، فقال: الله بيني وبينك.

وقال أحدهم: إنا معاشر بني إسرائيل إذا أصاب أحدنا بولٌ قطعه، فأصابني بولٌ فقطعته، فلم أبالغ في قطعه فهذا أعظم ذنبٍ عملته.

وقال الآخر: كانت لي والدة فدعتني من قبل شمال الريح، فأجبتها فلم تسمع، فجاءتني مغضبة فجعلت ترميني بالحجارة فأخذتُ عصًا وجئتُ لأقعد بين يديها تضربني بها حتى ترضى، ففزعت مني فأصابت وجهها شجرة فشجتها، فهو أعظم ذنبٍ عملته قط[١].

❁❁❁

(٧) قصة العابد والرغيف

يقول أبو بردة بن أبي موسى الأشعري رحمه الله:

لما حضر أبا موسى الوفاةُ قال: يا بني اذكروا صاحب الرغيف.

قال: كان رجل يتعبد في صومعةٍ – أراه سبعين سنة – لا ينزل إلا في يومٍ واحد.

قال: فشبّه أو شبه الشيطان في عينه امرأة قال: فكان معها سبع ليال، ثم كُشف عن الرجل غطاؤه فخرج تائبًا فكان كلما خطا خطوة صلّى وسجد، فأواه الليل إلى وكان عليه اثنا عشر مسكينًا فأدركه العياء فرمى بنفسه بين رجلين منهم.

وكان ثَمَّ راهب يبعث إليهم كل ليلة أرغفة، فيعطى كل إنسانٍ رغيفًا، فجاء

(١) انظر: البر والصلة (١٠٢) لابن الجوزي، حلية الأولياء (٦/٨) لأبي نعيم.

صاحب الرُغُف وأعطى كل إنسان رغيفًا، ومَرَّ على ذلك الرجل الذي خرج تائبًا، وظن أنه مسكين فأعطاه رغيفًا، فقالَ المتروك لصاحب الرُغُف: مالك لم تعطني رغيفي؟

فقال: تراني أمسكته عنك! سل هل أعطيتُ أحدًا منكم رغيفين؟! قالوا: لا.

فقال: تراني أمسكته عنك، و الله لا أعطيك الليلة شيئًا، فعمد التائب إلى الرغيف الذي دفعه إليه، فدفعه إلى الرجل الذي تُرك، فأصبح التائب ميتًا.

قال: فوزنت السبعون سنة بالسبع الليالي فرجحت الليالي، فوُزن الرغيف بالسبع الليالي فرجح الرغيف، فقال أبو موسى: يا بني، اذكروا صاحب الرغيف[1].

❁❁❁

(٨) قصة العابد والنوم عن الصلاة

يقول غالب القطان رحمه الله:

جئت من ضيعتي وأنا كالٌّ مغلوبٌ، فوضعت رأسي فأقيمت العشاء الآخرة، فقالت المرأة: الصلاة.

فقلت: ويحك ذريني، فإنك جاهلةٌ بما لقيت اليوم.

فثوّب المؤذن للصلاة، والمرأة تقول له: الصلاة، ويقول لها: ذريني حتى انتصف الليل، فقام فصلى، ثم أخذ مضجعه فرأى فيما يرى النائم أنه ينطلق من منزله إلى كريجة[2] فوجد في الطريق أربعة دنانير ومعه كيس فيه ثلاثة أثواب، فطرح الدنانير في بابٍ من تلك الأبواب.

قال: فلبثت غير كثيرٍ فإذا الدنانير يتشدها من يذكر الدنانير الأربعة رحمك الله مرارًا.

قال: فجعلت أتغامس[3] عنه، ثم دعوته بعد ذلك فقلت: يا صاحب الدنانير هذه دنانيرك، فذهبت لأفتح الكيس لأعطيه الدنانير، فإذا الكيس قد تخرق وذهبت الدنانير،

---

(١) انظر: حلية الأولياء (١/٢٦٣)، صفة الصفوة (١/٥٦١، ٥٦٢)، البر والصلة (٣٧٥).

(٢) **الكريجة:** الحانوت.

(٣) **تتغامس:** تتغافل.

فقلت: يا صاحب الدنانير إن دنانيرك ذهبت فخذ شراءها، فأمسك بناحية ثوبي، وقال: لا أقبل إلا دنانيري بأعيانها.

فاستيقظت وهو آخذ بناحية ثوبي، فغدوتُ على ابن سيرين فقصصت عليه، فقال: أما إنك نمت عن صلاة العشاء الآخرة، فاستغفر الله، ولا تعد لمثلها.

قال: ثم ابتليت بمثلها، وأذن المؤذن، وثوب والمرأة تقول: الصلاة يرحمك الله، فنمتُ إلى الحين الذي نمتُ فيه المرة الأولى فقمتُ فصليتُ نحو ما صليت المرة الأولى، ثم أخذت مضجعي، فرأيت أني وأصحابًا لي على بغال شهبٍ، وأناس قدامنا على الإبل في المحامل على فرشٍ وطئة وحاد يحدو بهم، وهم يسيرون على مهلٍ، وأنا وأصحابي مجتهدون على أن نلحقهم حتى بلغ جهدنا، ونحن على البغال نطرد طردًا ننظر إليهم ولا نلحقهم.

قال: فأتيتُ محمد بن سيرين فقصصت عليه رؤياى، فقال:

صليت البارحة في جماعة؟

قلت: لا.

قال: أولئك أصحاب المحامل الذين صلوا في جماعة، وأنتم أصحاب بغال شهب تجهدوا أن تدركوا فضل أولئك ولا تدركون.

هو كما رأيته(١).



(٩) قصة عابد مات ساجدًا

يقول وهب بن منبه رحمه الله:

كان ملك من ملوك الأرض أراد أن يركب إلى أرض، فدعا بثياب يلبسها، فجئ بثياب فلم تعجبه، فقال: ائتوني بثياب كذا وكذا حتى عد أصنافًا من الثيًاب. كل ذلك لا تعجًبه حتى جئ بثياب وافقته، فلبسها، ثم قال:

جيئوني بدابة كذا، فجئ بها فلم تعجبه، ثم قال: جيئوني بدابة كذا فلم تعجبه حتى

---

(١) انظر: الحلية (٦/١٨٣، ١٨٤).

جئ بدابة فوافقته فركبها.

فلما ركبها جاء إبليس فنفخ في منخره نفخة فعلاه كبرًا.

قال: وسار وسارت الخيول معه، فهو رافعٌ رأسه لا ينظر إلى الناس كبرًا وتعظمًا، فجاءه رجلٌ ضعيفٌ رث الهيئة، فسلم عليه فلم يرد عليه السلام، و لم ينظر إليه، فقال له: إنه لي إليك حاجة، فلم يسمع كلامه.

قال: فجاء حتى أخذ بلجام دابته، فقال: أرسل لجام دابتي فقد تعاطيت مني أمرًا لم يتعاطه مني أحد.

قال: إن لي إليك حاجة، قال: انزل فتلقاني، قال: لا الآن.

قال: فقهره على لجام دابته، فلما رأى أنه قد قهره قال: حاجتك؟ قال: إنها سرٌ أريد أن أسرها إليك.

قال: فأدنى رأسه إليه فساره، قال: أنا ملك الموت.

قال: فانقطع، وتغير لونه، واضطرب لسانه، ثم قال: دعني حتى آتى أرضى هذه التي خرجت إليها وأرجع من مركبي، ثم تمضى في أمرك؟

قال: والله لا ترى أرضك أبدًا، ولا ترجع من موكبك هذا أبدًا.

قال: دعني أرجع إلى أهلي فأقضي حاجتي إن كانت؟

قال: لا والله لا ترى أهلك أبدًا.

قال: فقبض روحه في مكانه فخر كأنه خشبة.

قال وهب بن منبه: وبلغني أيضًا أنه لقى عبدًا مؤمنًا في تلك الحال، فسلم عليه فرد عليه السلام، فقال: إن لي إليك حاجة؟

قال: هلم فاذكر حاجتك.

قال: إنها سرٌ فيما بيني وبينك.

قال: فأدنى إليه رأسه ليساره بحاجته، فساره فقال: أنا ملك الموت.

قال: مرحبًا وأهلاً، مرحبًا بمن طالت غيبته عليَّ، فوالله ما كان في الأرض غائب أحب إليَّ أن ألقاه منك.

قال: فقال له ملك الموت: اقض حاجتك التي خرجت لها.

قال: ما لي حاجة أكبر عندي، ولا أحب من لقاء الله.

قال: فاختر على أي شيءٍ أقبض روحك.

قال: وتقدر على ذلك؟

قال: نعم، أُمرت بذلك.

قال: نعم إذًا، فقام وتوضأ، ثم ركع وسجد، فلما رآه ساجدًا قبض روحه[١].

❁❁❁

(١٠) قصة عابد يستعد قبل الرحيل

يقول إبراهيم بن بشار رحمه الله: مررتُ أنا وأبو يوسف الغَسُولي في طريق الشام، فوثب إليه رجلٌ فسلّم عليه، ثم قال:

يا أبا يوسف، عظني بموعظة أحفظها عنك.

قال: فبكى، ثم قال: اعلم يا أخي أن اختلاف الليل والنهار ومرهما يسرعان في هدم بدنك، وفناء عمرك، وانقضاء أجلك، فينبغي لك يا أخي أن لا تطمئن، ولا تأمنن حتى تعلم أين مستقرك، ومصيرك، وساخط عليك ربك بمعصيتك وغفلتك، أو راض عنك بفضله ورحمته؟!

ابن آدم الضعيف، نطفة بالأمس، وجيفة غدًا، فإن كنت ترضى لنفسك بهذا فسترد وتعلم وتندم في وقتٍ لا ينفعك الندم.

قال: فبكى أبو يوسف، وبكى الرجل، وبكيتُ لبكائهما[٢].

❁❁❁

---

(١) انظر الحلية (٦/٢٠٢).

(٢) انظر: الزهد (٥١٣) للبيهقي.

(١١) قصة العُباد مع السعادة الحقيقية

يقول إبراهيم بن بشار رحمه الله:

خرجتُ أنا وإبراهيم بن أدهم وأبو يوسف الغسولي، وأبو عبد الله السنجاري نريد الإسكندرية فمررنا بنهرٍ يقال له: نهر الأردن، فقعدنا نستريح، وكان مع أبي يوسف كُسيرات يابسات فألقاهن بين أيدينا فأكلنا وحمدنا الله فقمت أسعى أتناول ماءً لإبراهيم، فبادر إبراهيم فدخل النهر حتى بلغ الماء ركبتيه، فقال بكفيه في الماء فملأهما ثم قال: بسم الله وشرب، فقال:

الحمد لله، ثم إنه خرج من النهر فمد رجليه، وقال:

يا أبا يوسف، لو علم الملوك، وأبناء الملوك ما نحن فيه من النعيم والسرور لجالدونا بالسيوف أيام الحياة على ما نحن فيه من لذيذ العيش وقلة التعب، فقلت له:

يا أبا إسحاق،، طلب القوم الراحة والنعيم فأخطأوا الطريق المستقيم فتبسم، ثم قال: من أين لك هذا الكلام[١]؟!

❁❁❁

(١٢) قصة عابدين مع الموت

يروى شهر بن حوشب أن صعب بن جثَّامة وعوف بن مالك كانا متواخيين[٢]، فقال صعب لعوف:

أي أخي أينا مات قبل صاحبه فليترائى له، قال: أو يكون ذلك؟

قال: نعم.

فمات صعب، فرآه عوف فيما يرى النائم، كأنه أتاه.

---

(١) انظر: الحلية (٧/٣٧٠)، الزهد (٨٠) للبيهقي، صفة الصفوة (٤/١٥٣)، تهذيب تاريخ دمشق (٢/١٧٩) لابن بدران.

(٢) من الإخوة في الله.

قال: فقلت: أخي ما فُعل بكم؟ قال: غُفر لنا بعد المصائب.

قال: ورأيت لمعة سوداء في عنقه.

فقلت: أي أخي ما هذا؟

قال: عشرة دنانير استلفتها من فلان اليهودى، فهى في قرنى، فأعطها إياه، واعلم أخي أنه لم يحدث في أهلي حدث بعدي إلا قد لحق بي خبره، حتى هرة لنا ماتت منذ أيام.

واعلم أن ابنتى تموت إلى ستة أيام، فاستوصوا بها معروفًا.

قال: فلما أصبحت قلت إن لي في هذا لمعلمًا، فأتيتُ أهله، فقالوا: مرحبًا بعوف، هكذا تصنعون بتركة إخوانكم، لم تقربنا منذ مات صعب؟!

قال: فاعتللتُ بما يعتل به الناس، فنظرتُ إلى القرن، فأنزلته فانتشلت ما فيه، فبدرت الصرة التي فيها الدنانير، فبعثت إلى اليهودي، فجاء فقلت:

هل كان لك على صعبٍ شيء؟

قال: رحم الله صعبًا، كان من خيار أصحاب محمد ﷺ، هى له.

قلت: لتخبرني؟

قال: نعم أسلفته عشرة دنانير، فنبذها إليه.

فقال: هى والله بأعيانها.

قال: قلت: هذه واحدة.

قال: قلت: هل حدث فيكم حدث منذ موته؟

قالوا: نعم، حدث فينا كذا، حدث فينا كذا، فقلت: اذكروا.

فقالوا: تلعب، فأتيتُ بها، فمسستها فإذا هى محمومة، قلت: استوصوا بها خيرًا.

قال: فماتت بعد ستة أيام[1].

---

(١) انظر: المنامات (٢٥) لابن أبي الدنيا، الإصابة (٢٤٤/٤) لابن حجر، وعزاه لأبي بكر بن لال في كتاب «**المتحابين**» من طريق جعفر بن سليمان عن ثابت به.

الزهد (٨٣٠) لابن المبارك، وعنده أن القصة لأخيه محلم بن جثامة. وشرح الصدور (ص/٢٧٠) للسيوطي.

قال ابن القيم رحمه الله:

صح عن حماد بن سلمة عن ثابت عن شهر بن حوشب، ثم ذكر تلك القصة، وقال: هذا من فقه عوف ﷺ وكان من الصحابة حيث نفذ وصية الصعب بن جثامة بعد موته، وعلم صحة قوله بالقرائن التي أخبره بها من أن الدنانير عشرة، وهي في القرن، ثم سأل اليهودي فطابق قوله لما في الرؤيا، فجزم عوف بصحة الأمر فأعطى اليهودي الدنانير، وهذا فقهٌ إنما يليق بأفقه الناس، وأعلمهم وهم أصحاب رسول الله ﷺ، ولعل أكثر المتأخرين ينكرون ذلك، ويقول: كيف جاز لعوف أن ينقل الدنانير من تركة صعب، وهي لأيتامه وورثته إلى يهودي بمنام.

ونظير هذا من الفقه الذي خصهم الله به دون الناس قصة ثابت بن قيس، وقد ذكرها ابن عبد البر وغيره[1].

❁❁❁

(١٣) قصة عابد والقدوة في الصبر على البلاء

قال وهب بن منبه رحمه الله:

أُتى برجلٍ من أفضل أهل زمانه إلى مَلِك يفتن الناس على أكل لحوم الخنازير. فلما أُتى به أعظم الناس مكانه، وهالهم أمره، فقال لهم صاحب شرطة الملك: ائتيني بجدي تزكيه تذبحه مما يحل لك أكله فأعطينيه، فإن دعا بلحم الخنزير أتيتك به فكله.

فذبح جديًا فأعطاه إياه، ثم أُتى به للملك، فدعا بلحم الخنزير، فأتاه صاحب الشرطة بلحم الجدى الذي كان أعطاه إياه، فأمره الملك بأكله فأبى.

فجعل صاحب الشرطة يغمز له، ويأمره أن يأكله، ويريه أن اللحم الذي دفعه إليه، فأبى أن يأكله، فأمر به الملك صاحب الشرطة أن يقتله.

فلما ذهب به، قال: ما منعك أن تأكل، وهو اللحم الذي دفعت إليَّ؟!

أظننت أني أتيتك بغيره؟

---

(١) انظر: الروح (ص/١٤) لابن القيم.

قال: لا قد علمتُ أنه هو، ولكني خفت أن يفتتن الناس بي، فإذا أُريد أحدهم على أكل لحم الخنزير، قال: قد أكله فلان، فيُستنَّ بي، فأكون فتنة لهم، فقُتل رحمة الله عليه[1].

۞۞۞

(١٤) قصة عابد يتحدى الشيطان

قال وهب بن منبه رحمه الله:

كان رجلٌ عابدٌ من السياح أراده الشيطان من قِبلِ الشهوة، والرغبة، والغضب، فلم يستطع له شيئًا، فتمثل له بحية وهو يصلي فالتوت قدمه وجسده، ثم اطلع رأسه عند رأسه فلم يلتفت من صلاته، ولم يستأخر منها.

فلما أراد أن يسجد التوت في موضع سجوده، فلما وضع رأسه ليسجد فتح فاه ليلتقم رأسه، فوضع رأسه فجعل يفركه حتى استمكن من الأرض لسجدته.

فقال له الشيطان: إني أنا صاحبك الذي كنت أخوفك، فأتيتك من قبل الشهوة، والرغبة، والغضب، وأنا الذي كنتُ أتمثل لك بالسباع والحية، فلم أستطع بك، وقد بدا لي أن أصادقك، ولا أريد ضلالتك بعد اليوم.

قال: سل عما شئت فأخبرك؟

قال: وما عسيت أن أسألك عنه؟

قال: لا تسألني عن مالك ما فعل بعدك؟!

قال: لو أردت مالي لم أفارقه.

قال: فلا تسألني عن أهلك مَنْ مات منهم بعدك؟!

قال: أنا مت قبلهم.

قال: فلا تسألني عما أضل به بني آدم؟

قال: بلى، فأخبرني ما أوثق ما في نفسك أن تُضلهم به؟

(١) انظر: الزهد (١٤٦٦) لابن المبارك، الحلية (٤/٥٥).

قال: ثلاثة أخلاق مَنْ لم يستطع بشيءٍ غلبنا، الشح، والحدة، والسكر.

فإن الرجل إن كان شحيحًا قلّلنا ماله في عينه، ورغبناه في أموال الناس، وإن كان حديدًا تداورناه بيننا كما يتداور الصبيان الأُكرة بينهم.

ولو كان يحيى الموتى بدعوته لم نيأس منه، فإن ما يبني يهدمه لنا بكلمة.

وإذا سكر اقتدناه إلى كل سوءٍ، كما يقتاد من أخذ العنز بأذنها حيث شاء[1].

❁❁❁

(١٥) قصة العابد ابن هارون الرشيد

قال عبد الله بن الفرج:

خرجت يومًا أطلب رجلا يرم لي شيئًا في الدار فذهبت فأشير إليّ برجل حسن الوجه بين يديه مروز وزنبيل، فقلت أتعمل لي اليوم إلى الليل؟

قال: نعم.

فقلت: بكم؟

قال: بدرهم ودانق.

فقلت له: قم فقام فعمل ذلك اليوم عمل ثلاثة رجال، ثم أتيته في اليوم الثاني. فسألت عنه. فقيل لي: ذلك الرجل لا يرى في الجمعة إلا يومًا واحدًا يوم كذا. فتربصت حتى أتى اليوم الذي وصفوه، ثم جئت ذلك اليوم، فإذا هو جالس، وبين يديه مروز وزنبيل فقلت له: أتعمل لي ؟

قال: نعم.

قلت: بكم؟

قال: بدرهم ودانق.

فقلت: قم فقام فعمل ذلك اليوم عمل ثلاثة رجال، فلما كان بالمساء وزنت درهمين ودانقين وأحببت أن أعلم ما عنده.

---

(١) انظر: الزهد (١٤٧٢) لابن المبارك، الحلية (٥٢/٤).

قال لي: ما هذا؟

قلت: درهمان ودانقان.

قال: ألم أقل لك بدرهم ودانق، قد أفسدت على أجرتي لست آخذًا منك شيئًا.

قال: فوزنت له درهمًا ودانقًا، فأبى أن يأخذ وألححت عليه فقال لي: سبحان الله أقول لا آخذ وتلح عليّ، فأبى أن يأخذ ومضى، فأقبلت على أهلي،

فقالت: فعل الله بك ما أردت من الرجل قد عمل لك عمل ثلاثة أيام، وأفسدت عليه أجرته .

قال: فجئت يومًا أسأل عنه فقيل: إنه مريض فاستدللت على بيته فاستأذنت عليه، فدخلت عليه فإذا هو مبطون في خربة ليس في بيته شيء إلا ذلك المروز والزنبيل، فسلمت عليه فرد على السلام فقلت له: لي إليك حاجة وتعرف فضل إدخال السرور على المؤمن، وأنا أحب أن تأتي إلى بيتي أمرضك.

قال: أتحب ذلك؟

قلت: نعم.

قال: آتيك بثلاث شرائط .

قلت: نعم.

قال: أحدها أن لا تعرض عليّ طعامًا حتى أسألك.

قلت: نعم.

والثانية: إذا مت أن تدفنني في كسائي هذا وجبتي هذه.

فقلت: نعم.

قال: أما الثالثة، فهي أشد منها، وسأخبرك عنها، فحملته إلى منزلي عند الظهر، فلما أصبحت من الغد ناداني يا عبد الله فأتيته فقلت: ما شأنك.

قال: الآن أخبرك عن حاجتي الثالثة، وإني قد احتضرت -يعني قد حضرت وفاتي-، ثم قال: افتح صرة على كم جيبي ففتحتها فإذا فيها خاتم له فص أخضر، فقال لي: إذا أنا مت ودفنتني فخذ هذا الخاتم وادفعه إلى هارون الرشيد أمير المؤمنين وقل له: يقول لك صاحب هذا الخاتم ويحك لا تموتن على سكرتك هذه، فإنك إن مت على سكرتك

ندمت على ذلك، فلما دفنته سألت عن يوم خروج هارون الرشيد، وكتبت له القصة وتعرضت له فدفعتها إليه، وتأذيت أذى شديدًا فلما دخل القصر وقرأ القصة قال: عليّ بصاحب هذه القصة فدخلت عليه.

فقال: ما شأنك فأخرجت الخاتم، فلما نظر إلى الخاتم.

قال: من أين لك هذا ؟

فقلت: دفعه إلى رجل طيان ونظرت إلى دموعه تتحدر من عينيه على لحيته، ومن لحيته على ثيابه ويقول طيان وقربني منه وأدناني فقلت: يا أمير المؤمنين إنه أوصاني أيضًا وقال: إذا أوصلت إليه الخاتم قل له: إنه يقرئك صاحب هذا الخاتم السلام، ويقول لك: لا تموتن على سكرتك هذه، فإنك إن مت على سكرتك هذه ندمت، فقام على رجليه قائمًا، فضرب بنفسه على البساط، وهو يتقلب برأسه ولحيته ويقول: يا بني نصحت أباك حيًا وميتًا فقلت في نفسي: كأنه ابنه ولم أشعر به، فبكى بكاء طويلاً، ثم جلس وجاءوا بالماء وغسل وجهه، ثم قال: كيف عرفته فقصصت عليه القصة، فبكى بكاء شديدًا طويلاً ثم قال: كان هذا أول مولود ولد لي، فكان أبي المهدي ذكر لي أن يزوجني زبيدة فنظرت يومًا إلى امرأة فعلق قلبي بها، فتزوجتها سرًا من أبي وأولدتها هذا الولد فأنفذتها إلى البصرة، ودفعت إليها هذا الخاتم، وأشياء كثيرة وقلت لها: اكتمي نفسك فإذا بلغك إني قد قعدت للخلافة فأتيني. فلما قعدت للخلافة سألت عنهما فذكر لي أنهما ماتا، ولم أعلم أنه باق فأين دفنته؟

فقلت: دفنته في مقابر عبد الله بن المبارك.

قال: إن لي إليك حاجة إذا كان بعد المغرب وقفت لي حتى أخرج إليك متنكرًا فأخرج إلى قبره فأزوره، فوقفت له فخرج والخدم حوله حتى وضع يده في يدي فجئت به إلى قبره، فما زال ليلته يبكي إلى الصبح ويقول: يا بني نصحت أباك حيًا وميتًا، فجعلت أبكي لبكائه رقة مني له حتى طلع الفجر، ثم رجع حتى إذا دنا إلى الباب فقال لي: قد أمرت لك بعشرة آلاف درهم، وأمرت بأن تجرى عليك فإذا أنا مت أوصيت من يلي من بعدي أن يجري عليك ما بقى لك عقبى، فإن لك على حقًا بدفنك ولدي، فلما أراد أن يدخل الباب قال لي: انظر إلى ما أوصيتك إذا طلعت الشمس فقلت إن شاء الله فرجعت من عنده فلم أعد إليه[١].

---

(١) تنبيه الغافلين (ص/٤٩٣) للسمرقندي.

(١٦) قصة العباد الثلاثة مع القضاء والقدر

قال بشر بن بشار المجاشعي -رحمه الله- وكان من العابدين:

لقيتُ عُبَّادًا ثلاثة ببيت المقدس، فقلت لأحدهم: أوصني؟

قال: ألق نفسك مع القدر حيث ألقاك، هو أحرى أن يفرغ قلبك، ويقل همك، وإياك أن تسخط ذلك، فيحل بله السخط، وأنت عنه في غفلة لا تشعر به.

قال: وقلت لآخر: أوصني؟

قال: ما أنا بمستوصٍ فأوصيك.

قلت: عليَّ ذلك، عسى الله أن ينفع بوصيتك.

قال: أما إذا أبيت إلا الوصية فاحفظ عني: التمس رضوانه في ترك مناهيه، فهو أوصل لك إلى الزلفى لديه.

قال: فقلت لآخر: أوصني ، فبكى واستحر سفوحًا – يعني بالدموع – ثم قال: أي أخي، لا تبتغ في أمرك تدبيرًا غير تدبيره، فتهلك فيمن هلك، وتَضِلّ فيمن ضل[1].

❁❁❁

(١٧) قصة صبر عابد أمام ملك من بني أمية

بينما سليمان بن عبد الملك[2] جالسٌ إذ مر به رجلٌ عليه ثياب تخيل[3] في مشيته، فقال: هذا ينبغي أن يكون عراقيًا، وينبغي أن يكون كوفيًا، وينبغي أَن يكون من همدان، ثم قال: عليَّ بالرجلِ، فأُتي به فقال: ممن الرجل؟

---

(١) أخرجه أبو نعيم (١٠/١٣٣) في الحلية، وابن الجوزي (٤/٢٤٦) في صفة الصفوة.

(٢) الخليفة الأموي، كان فصيحًا، مُحبًّا للغزو، وعمل على إحياء الصلاة بوقتها، مات في سنة ٩٩هـ. انظر: تاريخ الطبري (٦/٥٤٦)، الجرح والتعديل (٤/١٣٠)، الكامل لابن الأثير (٥/٣٧)، وفيات الأعيان (٢/٤٢٠)، العبر (١/١١٥)، البداية والنهاية (٩/١٨٣)، تاريخ الخلفاء (ص/٣٥٩)، شذرات الذهب (١/١١٦).

(٣) **تخيل**: ظن، وتفرس، يقال: تخيله أي تفرسه، وخيل عليه: شبَّه.

فقال: ويلك دعني حتى ترجع إليَّ نفسي.

قال: فتركه هنيهة، ثم سأله ممن الرجل؟

فقال: من أهل العراق.

قال: من أيهم؟

قال: من أهل الكوفة.

قال: أي أهل الكوفة؟

قال: من همدان، فازداد عجبًا، وقال: ما تقول في أبي بكر؟

قال: والله، ما أدركتُ دهرَهُ، ولا أدرك دهري، ولقد قال النَّاسُ فيه فأحسنُوا، وهو إن شاء اللَّهُ كذلك.

قال: فما تقول في عمر؟

فقال مثل ذلك.

فقال: فما تقول في عثمان؟

قال: والله ما أدركتُ دهرَهُ ، ولا أدرك دهري، ولقد قال فيه ناسٌ فأحسنُوا، وقال فيه ناسٌ فأساءُوا، وعند اللَّهِ علمه.

قال: فما تقول في علي؟

قال: هو واللَّهِ مثل ذلك.

قال: سُبّ عليًا[١].

قال: لا أسبه.

قال: والله لتسبنه.

قال: والله، لا أسبه!!

قال: والله، لتسبنه أو لأضربن عنقك؟

(١) هذا من كبار الآثام التي وقع فيها بنو أمية خلا عمر بن عبد العزيز، فلقد كانوا يحبون عثمان، ويبغضون عليًا – لا جزاهم الله خيرًا– وهدي السلف الصالح الترضى عن الجميع ، والسكوت عما شجر بينهم، أو حدث منهم.

قال: والله لا أسبه.

قال: فأمر بضرب عنقه، فقام رجل في يده سيف فهزه حتى أضاء في يده كأنه خوخة[١]، فقال: والله لتسبنه أو لأضربن عنقك.

قال: والله لا أسبه، ثم نادى: ويلك يا سليمان، أدنني منك، فدعا به، فقال: يا سليمان، أما ترضى مني بما رضى به مَنْ هُو خَيْرٌ منك ممن هو خيرٌ مني فيمن هو شرٌّ من عليٍّ؟

قال: وما ذاك؟

قال: اللَّهُ رضى من عيسى وهو خير مني إذ قال في بني إسرائيل وهم شرٌّ من عليٍّ ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [٢].

قال: فنظرت إلى الغضب ينحدر[٣] من وجهه حتى صار في طرف أرنبته[٤]، ثم قال: خليا سبيله، فعاد إلى مشيته، فإذا هو طلحة[٥] بن مصرف[٦].

❁❁❁

(١٨) قصة العابد مع الطاغية ابن هبيرة

قال عمر بن هبيرة والي العراق ذات يوم للحسن البصري رحمه الله:

يا أبا سعيد ما تقول؟

قال الحسن البصري: أقول: يا عمر بن هبيرة، يوشك أن ينزل بك ملك من ملائكة الله تعالى فظ غليظ، لا يعصى الله ما أمره، فيخرجك من سعة قصرك، إلى ضيق قبرك.

---

(١) تحرف في الأصل إلى خوصه.

(٢) سورة المائدة: ١١٨.

(٣) **ينحدر**: يتساقط.

(٤) **طرف أرنبته**: طرف أنفه.

(٥) إمامٌ ، حافظٌ ، شيخ الإسلام في زمانه، ثقةٌ ثبتٌ، حديثه في الكتب الستة، مات سنة ١١٢هـ. انظر طبقات ابن سعد (٣٠٨/٦)، الجرح والتعديل (٤٧٣/٤)، الحلية (١٤/٥)، العبر (١٣٩/١)، السير (١٩١/٥)، التهذيب (٢٥/٥)، شذرات الذهب (١٤٥/١).

(٦) حلية الأولياء (١٥/٥، ١٦).

يا عمر بن هبيرة، إن تتق الله يعصمك من يزيد بن عبد الملك، ولا يعصمك يزيد بن عبد الملك من الله عز وجل.

يا عمر بن هبيرة، لا تأمن أن ينظر الله إليك على أقبح ما تعمل في طاعة يزيد بن عبد الملك نظرة مقت، فيغلق بها باب المغفرة دونك.

يا عمر بن هبيرة، لقد أدركت ناسا من صدر هذه الأمة كانوا والله على الدنيا وهي مقبلة أشد إدبارًا من إقبالكم عليها وهي مدبرة .

يا عمر بن هبيرة، إني أخوفك مقاما خوفكه الله تعالى، فقال: - ﴿ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴾ [(١)].

يا عمر بن هبيرة، إن تك مع الله تعالى في طاعته كفاك بائقة يزيد بن عبد الملك، وإن تك مع يزيد بن عبد الملك على معاصي الله وكلك الله إليه.

قال: فبكى عمر، وقام بعبرته[(٢)].



(١٩) قصة العابد أمام الحاكم الظالم

حكى أن هشام بن عبد الملك قدم حاجًا إلى مكة، فلما دخلها، قال: ائتوني برجلٍ من الصحابة؟

فقيل: يا أمير المؤمنين، قد تفانوا.

فقال: من التابعين؟

فأتى بطاووس اليماني، فلما دخل عليه خلع نعليه بحاشية بساطه، ولم يسلم عليه بإمرة المؤمنين، ولكن قال: السلام عليك يا هشام ولم يكنه، وجلس بإزائه، وقال: كيف أنت يا هشام؟

فغضب هشام غضبًا شديدًا حتى همّ بقتله، فقيل له: أنت في حرم الله، وحرم

(١) سورة إبراهيم: ١٤.
(٢) الحلية (١٥٠/٢).

رسوله، ولا يمكن ذلك!!

فقال له: يا طاووس، ما الذي حملك على ما صنعت؟

قال: وما الذي صنعت؟ فازداد غضبًا وغيظًا.

قال: خلعت نعليك بحاشية بساطي، و لم تقبل يدي، و لم تسلم عليَّ بإمرة المؤمنين، و لم تكنني، وجلست بإزائي بغير إذني، وقلت: كيف أنت يا هشام؟

قال: أما ما فعلت من خلع نعلي بحاشية بساطك، فإني أخلعهما بين يدي رب العزة كل يوم خمس مرات، ولا يعاقبني، ولا يغضب عليَّ.

وأما قولك لم تقبل يدي، فإني سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: لا يحل لرجلٍ أن يقبل يد أحد إلا امرأته من شهوة، أو ولده من رحمة.

وأما قولك لم تسلم عليَّ بإمرة المؤمنين، فليس كل الناس راضين بإمرتك، فكرهت أن أكذب.

وأما قولك لم تكنني، فإن الله تعالى سمى أنبياءه وأولياءه، فقال: ﴿**يا داود**﴾ ﴿**يا يحيى**﴾ ﴿**يا عيسى**﴾.

وكنى أعدائه فقال: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ [١].

وأما قولك جلست بإزائي، فإني سمعت أمير المؤمنين عليًا رضي الله عنه يقول: ((**إذا أردت أن تنظر إلى رجل من أهل النار، فانظر إلى رجل جالس، وحوله قوم قيام**)).

فقال له هشام: عظني؟

فقال: سمعت أمير المؤمنين عليًا رضي الله عنه يقول:-

((**إن في جهنم حيات كالقلال، وعقارب كالبغال تلدغ كل أمير لا يعدل في رعيته ثم قام وخرج**)) [٢].

❁❁❁

(١) سورة المسد: ١.

(٢) الإحياء (٢/١٤٤، ١٤٥).

(٢٠) قصة اتق الله فيمن على بابك

عن الأصمعي قال: -

دخل عطاء بن أبي رباح على عبد الملك بن مروان وهو جالسٌ على سريره وحواليه الأشراف من كل بطنٍ، وذلك بمكة في وقت حجه، في خلافته فلما بصر به قام إليه، وأجلسه معه على السرير، وقعد بين يديه، وقال له: يا أبا محمد، ما حاجتك؟

فقال: يا أمير المؤمنين، اتق الله في حرم الله، وحرم رسوله، فتعاهده بالعمارة، واتق الله في أولاد المهاجرين والأنصار، فإنك بهم جلست هذا المجلس، واتق الله في أهل الثغور فإنهم حصن المسلمين، وتفقد أمور المسلمين، فإنك وحدك المسئول عنهم، و اتق الله فيمن على بابك فلا تغفل عنهم، ولا تغلق بابك دونهم.

فقال: أجل أفعل، ثم نهض وقام فقبض عليه عبد الملك.

فقال: يا أبا محمد، إنما سألتنا حاجة لغيرك، وقد قضيناها فما حاجتك أنت؟

فقال: مالي إلى مخلوقٍ حاجة، ثم خرج فقال عبد الملك: هد وأبيك الشرف[١].

❊❊❊

(٢١) قصة إن الأمر جدٌ فجد

روى أن الوليد بن عبد الملك قال لحاجبه يومًا قف على الباب، فإذا مَرَّ بك رجل فأدخله عليَّ ليحدثني، فوقف الحاجب على الباب مدة، فمر به عطاء بن أبي رباح وهو لا يعرفه، فقال له: يا شيخ، ادخل إلى أمير المؤمنين، فإنه أمر بذلك، فدخل عطاء على الوليد وعنده عمر بن عبد العزيز، فلما دنا عطاء من الوليد، قال: السلام عليك يا وليد. قال: فغضب الوليد على حاجبه وقال له:

ويلك أمرتك أن تدخل إليَّ رجلاً يحدثني ويسامرني، فأدخلت إليَّ رجلاً لم يرض أن يسميني بالاسم الذي اختاره لي الله فقال له حاجبه: ما مر بي أحد غيره! ثم قال لعطاء:

---

(١) السابق (٢/٣٣٩).

اجلس، ثم أقبل عليه يحدثه، فكان فيما حدثه به عطاء أن قال له: بلغنا:-

((**إن في جهنم واديًا يقال له هبهب، أعده الله لكل إمام جائر في حكمه**)).

فصعق الوليد من قوله، وكان جالسًا بين يدي عتبة باب المجلس فوقع على قفاه إلى جوف المجلس مغشيًا عليه، فقال عمر لعطاء: قتلت أمير المؤمنين، فقبض عطاء على ذراع عمر بن عبد العزيز فغمزه غمزة شديدة، وقال له: يا عمر، إن الأمر جد فجد، ثم قام عطاء وانصرف.

❁❁❁

(٢٢) شهيدٌ في قصر الحجاج

يروى أن حطيطًا الزيات -رحمه الله- جئ به إلىالحجاج، فلما دخل عليه، قال: أنت حطيط؟

قال: نعم.

قال: سل عما بدا لك، فإني عاهدت الله عند المقام على ثلاث خصال: إن سئلت لأصدقن، وإن ابتليت لأصبرن، وإن عوفيت لأشكرن.

قال: فما تقول فيَّ؟

قال: أقول أنك من أعداء الله في الأرض، تنتهك المحارم، وتقتل بالظنة.

قال: فما تقول في أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان؟

قال: أقول: إنه أعظم جرمًا منك، وإنما أنت خطيئة من خطاياه.

قال: فقال الحجاج: ضعوا عليه العذاب، قال: فانتهى به العذاب إلى أن شقق له القصب، ثم جعلوه على لحمه، وشدوه بالحبال، ثم جعلوا يمدون قصبة قصبة، حتى انتحلوا لحمه فسمعوه يقول شيئًا.

قال: **فقيل للحجاج**: إنه في آخر رمقٍ، فقال: أخرجوه فارموا به في السوق.

قال جعفر: فأتيته أنا وصاحب له، فقلنا له: حطيط ألك حاجة.

قال: شربة ماء، فأتوه بشربةٍ، ثم مات، وكان ابن ثمان عشرة سنة.

(٢٣) قصة كلنا كان في المهد

عن الشافعي -رحمه الله- قال: حدثني عمى محمد بن على قال:-

إني لحاضر مجلس أمير المؤمنين أبي جعفر المنصور، وفيه ابن أبي ذؤيب، وكان والى المدينة الحسن بن زيد. قال: فأتى الغفاريون فشكوا إلى أبي جعفر شيئًا من أمر الحسن ابن زيد.

فقال الحسن: يا أمير المؤمنين سل عنهم ابن أبي ذؤيب. قال: فسأله، فقال: ما تقول فيهم يا ابن أبي ذؤيب؟

فقال: أشهد أنهم أهل تحطم في أعراض الناس كثير، والأذى لهم.

فقال أبوجعفر: قد سمعتهم، فقال الغفاريون: يا أمير المؤمنين سله عن الحسن بن زيد.

فقال: يا ابن أبي ذؤيب، ما تقول في الحسن بن زيد.

فقال: أشهد عليه أنه يحكم بغير الحق، ويتبع هواه.

فقال: قد سمعت يا حسن، ما قال فيك ابن أبي ذؤيب، وهو الشيخ الصالح.

فقال: يا أمير المؤمنين، اسأله عن نفسك.

فقال: ما تقول فيَّ؟

قال: تعفيني يا أمير المؤمنين.

قال: أسألك بالله إلا أخبرتني؟

قال: تسألني بالله، كأنك لا تعرف نفسك.

قال: والله لتخبرني.

قال: أشهد أنك أخذت هذا المال من غير حقه، فجعلته في غير أهله، وأشهد أن الظلم ببابك فاش.

قال: فجاء أبو جعفر من موضعه حتى وضع يده في قفا ابن أبي ذؤيب فقبض عليه، ثم قال له: أما والله لولا أني جالسٌ هاهنا لأخذت فارس والروم والديلم والترك بهذا المكان منك.

قال: فقال ابن أبي ذؤيب: يا أمير المؤمنين، قد ولى أبو بكر وعمر، فأخذا الحق، وقسما بالسوية، وأخذا بأقفاء فارس والروم، وأصغرا آنافهم لله.

فخلى أبو جعفر قفاه، وخلى سبيله، وقال: والله لولا أني أعلم أنك صادق لقتلتك.

فقال ابن أبي ذؤيب: والله يا أمير المؤمنين، إني لأنصح لك من ابنك المهدي.

قال: فبلغنا أن ابن أبي ذؤيب لما انصرف من مجلس المنصور لقيه سفيان الثوري، فقال له: يا أبا الحارث، لقد سرني ما خاطبت به هذا الجبار، ولكن ساءني قولك له ابنك المهدي.

فقال: يغفر الله لك يا أبا عبد الله، كلنا مهدي، كلنا كان في المهد.

❁❁❁

(٢٤) قصة العابد مع الحوراء العيناء

عن عبد الواحد بن زيد، رحمه الله تعالى قال:

بينما أنا يومًا في مجلسنا هذا، وقد تهيأنا للخروج إلى الغزو، وقد أمرت أصحابي أن يتهيئوا غداة الاثنين، وقد قرأ رجل في مجلسنا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَ ﴾ (١). فقام غلام ابن خمس عشرة سنة، أو نحو ذلك، وقد مات أبواه وأورثه مالاً كثيرًا فقال:

يا عبد الواحد، إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة فقلت: نعم حبيبي.

فقال لي: إني أشهدك يا عبد الواحد أني قد بعت نفسي، ومالي بأن لي الجنة، فقلت له:

إن حدّ السيف أشد من ذلك وأنت صبي، وإني أخاف عليك أن لا تصبر وتعجز عن ذا البيع قال:

---

(١) سورة التوبة: ١١١.

فقال لي: يا عبد الواحد إني أبايع الله بالجنة، ثم أعجز إني أشهدك أني بابعت الله فقال: فتقاصرت إلينا أنفسنا فقلنا:

صبي يفعل ونحن لا نفعل.

قال: فخرج من ماله كله يعني تصدق به، إلا فرسه وسلاحه ونفقته، فلما كان يوم الخروج كان أول من طلع علينا، فقال: السلام عليك يا عبد الواحد، فقلت له: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، أربح البيع، ثم سرنا وهو معنا يصوم النهار ويقوم الليل ويخدمنا، ويرعى دوابنا، ويحرسنا إذا بتنا، حتى دفعنا إلى بلاد الروم، فبينما نحن كذلك يومًا إذ أقبل وهو ينادى، واشوقاه إلى العيناء المرضية حتى قال أصابي لعله وسوس الغلام أو خلط عقله، حتى دنا وجعل ينادي يا عبد الواحد لا صبر لي واشوقاه العيناء المرضية فقلت: حبيبي وما هذه العيناء المرضية؟

قال: إني غفوت غفوة، يعني نمت نومه، فرأيت كأنه آتاني آت فقال: أذهب بك إلى العيناء المرضية، فهجم بي على روضة فيما شط نهر من ماء غير آسن، فإذا على شط النهر جوار عليهن من الحلى والحلل مالا أصف، فلما رأينني استبشرن وقلن: هذا زوج العيناء المرضية قد قدم فقلت: السلام عليكن: أفيكن العيناء المرضية؟

فقلن: لا نحن خدم لها وإماؤها، فتقدم أمامك فتقدمت، فإذا بنهر فيه لبن لم يتغير طعمه، في روضة فيها من كل زينة، فيها جوار، فلما رأيتهن افتتنت من حسنهن وجمالهن، فلما رأينني استبشرن وقلن: هذا والله زوج العيناء المرضية قد قدم علينا، فقلت: السلام عليكنْ أفيكن العيناء المرضية؟

فقلن: وعليك السلام يا ولى الله نحن خدم لها وإماء لها فتقدم أمامك فتقدمت، فإذا بنهر آخر من خمر، على شط الوادي في جوار أنسينني من خلفت فقلت: السلام عليكن: أفيكن العيناء المرضية؟

فقلن: لا نحن إماء لها وخدم لها امض أمامك، فتقدمت، فإذا بنهر آخر من عسل مصفى، وروضة فيما جوار لهن من النور والجمال ما أنسانى من خلفتُ، فقلت السلام عليكن أفيكن العيناء المرضية؟

قلن يا ولى الرحمن نحن إماء لها امض أمامك، فتقدمت فوقعت في خيمة من درة مجوفة على باب الخيمة جارية عليها من حلى والحلل ما لا أصفه، فلما رأتني استبشرت

ونادت من الخيمة، أيتها العيناء المرضية هذا بعلك قد قدم قال: فدنوت من الخيمة فدخلت فيها فإذا هي على سريرها قاعدة وسريرها من ذهب مكلل بالدر والياقوت، فلما رأيتها افتتنت فيها وهي تقول:

مرحبًا بولي الرحمن، قد دنا لك القدوم علينا، فذهبت لأعتنقها فقالت: مهلاً فإنه لم يأن لك أن تعانقني، فإن فيك روح الحياة وأنت تفطر الليلة عندنا إن شاء الله تعالى، فانتبهت يا عبد الواحد، ولا صبر لي عنها.

قال عبد الواحد: فما انقطع كلامنا حتى ارتفعت لنا سرية من العدو فحملنا عليهم وحمل الغلام.

قال: فعددت تسعة من العدو الذين قتلهم الغلام، وكان هو العاشر، فمررت به وهو يتشحط –يتخبط– في دمه، فضحك ملء فيه حتى فارق الدنيا[١].

(٢٥) قصة العابد وفقد البصر

قال الشيباني: أخبرني صديقٌ لي،قال: سمعني شيخٌ وأنا أشتكي بعض ما عمني إلى صديق، فأخذ بيدي وقال: يا ابن أخي، إياك والشكوى إلى غير الله، فإنه لا يخلو مَنْ تشكوٍ إليه أن يكون صديقًا أو عدوًا.

فأما الصديق فتحزنه ولا ينفعك، وأما العدو فيشمت بك، انظرإلى عيني هذه، وأشار إلى إحدى عينيه، والله ما أبصرتُ بها شخصًا ولا طريقًا مذ خمس عشرة سنة، وما أخبرت بها أحدًا إلى هذه الغاية.

أما سمعت قول العبد الصالح: ﴿ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾[٢]. فاجعله مشتكاك ومفزعك عند كل نائبة، فإنه أكرم مسؤول، وأقرب مدعوٍّ إليه[٣].

❁❁❁

(١) تنبيه الغافلين (ص/٥٠٠، ٥٠١) للسمرقندي.
(٢) سورة يوسف: ٨٦.
(٣) انظر: التذكرة الحمدونية (٣١٩/٤)، العقد الفريد (٢٨٢/٢) لابن عبد ربه.

قصة من فقد بصره أربعين سنة

قال الأحنف بن قيس:

شكوت إلى عمي صعصعة بن معاوية وجعًا في بطني، فهزني، ثم قال: يا ابن أخ، إذا نزل بك شيءٌ فلا تشكُهُ إلى أحد، فإنما الناس رجلان: صديقٌ تسوءه، وعدوٌ تسرّه، والذي بك لا تشكه إلى مخلوقٍ مثلك لا يقدر على دفع مثله عن نفسه، ولكن إلى من ابتلاك به، وهو قادرٌ أن يفرجً عنك.

يا ابن أخي إحدى عينيَّ هاتين ما أبصر بها سهلاً، ولا جبلاً من أربعين سنة، وما أطلعت على ذلك امرأتي، ولا أحدًا من أهلي[1].

❊❊❊

(٢٦) قصة العابد مع المرأة المفتتنة بجمالها

أما العابد فهو عبيد بن عمير الليثي، أبو عاصم، من كبار التابعين زهدًا، وعلمًا، وورعًا، وكان واعظ أهل مكة، ومجمعٌ على ثقته.

وأما المرأة فهي واحدة ممن افتتن بجمالهن، فماذا حدث بينهما؟!

كانت امرأة جميلة بمكة، وكان لها زوج، فنظرت يومًا إلى وجهها في المرآة، فقالت لزوجها: أترى أحدًا يرى هذا الوجه لا يفتن به؟ قال: نعم.

قالت: من؟ قال: عبيد بن عمير، قالت: فائذن لي فيه فلأفتننه.

قال: قد أذنت لكِ، فأتته كالمستفتية فخلا معها في ناحيةٍ من المسجد الحرام،

قال: فأسفرت عن مثل فلقة القمر، فقال لها: يا أمة الله!

قالت: إني قد فتنت بك فانظر في أمري.

---

(١) انظر : نثر الدر (٥/٥٤) للأبي، وفيات الأعيان (٢/٥٠٥) لابن خلكان، التذكرة الحمدونية (٤/ ٣١٩).

قال: إني سائلك عن شيءٍ، فإن أنت صدقتني نظرت في أمرك. قالت: لا تسألني عن شيءٍ إلا صدقتك.

قال: أخبريني لو أن ملك الموت أتاك ليقبض روحك أكان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟

قالت: اللهم لا. قال: صدقت.

قال: فلو أدخلتِ في قبرك وأجلست للمساءلة أكان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟

قالت: اللهم لا . قال: صدقت.

قال: فلو أن الناس أعطوا كتبهم، ولا تدرين تأخذين كتابك بيمينك أم بشمالك، أكان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟

قالت: اللهم لا. قال: صدقت.

قال: فلو وقفت بين يدي الله للمساءلة، أكان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟

قالت: اللهم لا. قال: صدقت.

قال: اتقى الله يا أمة الله، فقد أنعم الله عليك وأحسن إليك.

قال: فرجعت إلى زوجها، فقال: ما صنعتِ ؟ قالت: أنت بطالٌ ، ونحن بطالون! فأقبلت على الصلاة والصوم والعبادة.

قال: فكان زوجها يقول: مالي ولعبيد بن عمير، أفسد عليَّ امرأتي، كانت في كل ليلةٍ عروسًا، فصيرها راهبة[(١)].

❁❁❁

(٢٧) قصة العابد مسروق ونفسه

حج مسروق فلم ينم إلا ساجدًا على وجهه حتى رجع، وقالت امرأته: كان

---

(١) أخرجه ابن الجوزي (ص/٢١٠، ٢١١) في ذم الهوى، وأورده ابن القيم (ص/٣٤٠) في روضة المحبين.

مسروق يُصلى حتى تورَّم قدماه، فربما جلستُ أبكي مما أراه يصنع بنفسه[١].

وقيل لمسروق: لو أنك قصرت عن بعض ما تصنع، أي من العبادة؟ قال: والله لو أتاني أتٍ من ربى فأخبرت أن الله لا يعذبني، لاجتهدت في العبادة.

قيل: وكيف ذاك؟

قال: حتى تعذرني نفسي إن دخلت جهنم لا ألومها، أما بلغك في قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴾[٢].

إنما لاموا أنفسهم حين صاروا إلى جهنم، واعتنقتهم الزبانية، وحيل بينهم وبين ما يشتهون، وانقطعت عنهم الأماني، ورُفعت عنهم الرحمة، وأقبل كل امرئٍ منهم يلوم نفسه[٣].

❁❁❁

(٢٨) قصة العابد القائم بآية

قال رجلٌ من قبيلة قيس يكنى أبا عبد الله:

بتنا ذات ليلة عند الحسن البصري، فقام من الليل يصلي، فلم يزل يردد هذه الآية حتى أصبح: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ ﴾[٤].

فلما أصبح قلنا له: يا أبا سعيد، لم تكن تجاوز هذه الآية سائر الليلة؟!

قال: إن فيها معتبرًا، ما إن ترفع طرفًا، أو ترده إلا وقع عليك نعمة، وما لا نعلم من نعم الله أكثر[٥].

❁❁❁

---

(١) سير أعلام النبلاء (٤/٦٥) للذهبي.

(٢) سورة القيامة: ٢.

(٣) محاسبة النفس (١٠٩) لابن أبي الدنيا بتحقيقي، وصفة الصفوة (٣/٢٥) لابن الجوزي.

(٤) سورة النحل: ١٨.

(٥) التهجد (٥٠) لابن أبي الدنيا.

(٢٩) قصة العابد زبيد والزمهرير

يروى أن زبيد اليامي قام ذات ليلة للتهجد، فعمد إلى مطهرة له قد كان يتوضأ منها، فغمس يده في المطهرة، فوجد الماء باردًا شديدًا كاد أن يجمد من شدة برده، فذكر الزمهرير ويده في المطهرة، فلم يخرجها منها حتى أصبح.

فجاءت الجارية وهو على تلك الحال، فقالت: ما شأنك يا سيدي لم تصل الليلة كما كنت تصلي؟! وأنت قاعد هاهنا على تلك الحال؟!

قال: ويحك إني أدخلت يدي في هذه المطهرة، فاشتد عليَّ برد الماء، فذكرت به الزمهرير، فوالله ما شعرت لشدة برده حتى وقفت عليَّ، فانظري لا تحدثي بهذا أحدًا ما دمت حيًا.

قالت: فما علم بذلك أحد حتى مات(١).



(٣٠) قصة العابد مع عجائب القرآن الكريم

قالت أم محمد بنت كعب القرظي لابنها محمد:

يا بني... لولا أني أعرفك صغيرًا طيبًا، وكبيرًا طيبًا، لظننت أنك أحدثت ذنبًا موبقًا لِمَا أراك تصنع بنفسك بالليل والنهار!

قال: يا أماه.. وما يؤمني أن الله عز وجل قد اطلع عليَّ وأنا في بعض ذنوبي فمقتني؟!

أو قال: اذهب لا أغفر لك! مع أن عجائب القرآن ترد بي علىَّ أمورًا حتى إنه لينقضى الليل و لم أفرغ من حاجتي(٢).

---

(١) التهجد (٧٧) لابن أبي الدنيا.

(٢) السابق (٨٧).

(٣١) قصة عابد بني تميم

عن رجلٍ من أهل البصرة، قال:

تعبد رجلٌ من بنيٍ تميم، وكان يحيى الليل صلاة، فقالت له أمه: يا بني، إن شئت لو نمت من الليل شيئًا.

فقال: ما شئت يا أماه! إن شئت نمت اليوم ولم أنم غدًا في الآخرة، وإن شئت لم أنم اليوم لعلى أدرك النوم غدًا مع المستريحين من عسر الحساب.

قالت: يا بني، والله ما أريد لك إلا الراحة، فراحة الآخرة أحب إليّ لك من راحة الدنيا، فدونك يا بني، فحالف السهر أيام الحياة لعلك تنجو من عسر ذلك اليوم، وما أراك ناجيًا!

قال: فصرخ صرخة سقط من أثرها ميتًا، فاجتمع عندها رجال من بني تميم يعزونها.

قال: وابنيا قتيل يوم القيامة، وابنيا قتيل يوم القيامة، وكانوا يقولون: إنها أفضل من ابنها[(١)].

(٣٢) قصة عابد بني سعد

قال أبو عاصم العباداني رحمه الله:

كان رجل من بني سعد يقدم علينا في أول ما اتخذت عبادان، فكان يصلي الليل، والنهار، ولا يكاد يفتر، فإذا كان السحر اختبأ واستقبل البحر، فجعل يبكى، وينوح على نفسه.

قال: فإذا أحس إنسانًا أمسك.

قال: فخرجت ذات ليلة إلى الساحل، فإذا أنا بصوته، وإذا هو يبكى، ويقول في بكائه:

ألا يـــا عـــين ويحـــك أســـعديني بطـــول الدمـــع في ظـــلمة الـــليالي

(١) التهجد (١٣٥).

لعـــلك في القيامـــة أن تفـــوزي بخـــير الدهـــر في تـــلك العـــلالي

فلما أحس بحسي أمسك، قال: فرجعت وتركته[1].

❁❁❁

(٣٣) قصة عابد مع القيامة

قال عابدٌ من بلدة صور بالشام:

مُثّلت لي القيامة في منامي، فجعلت أنظر إلى قومٍ من إخواني قد نضرت وجوههم، وأشرقت ألوانهم، وعليهم الحلل دون ذلك الجمع من الجمع، فقلت:

ما بال هؤلاء مكسوون، والناس عراة؟! ووجوههم مشرقة نضرة، والناس غُبر كما نشروا من القبور؟!

قال: فقال لي قائل: أما الذي رأيت من الكسوة، فإن أول من يكسى من الخلائق بعد النبيين: المؤذنون، وأهل القرآن.

وأما ما رأيت من إشراق الوجوه فذاك ثواب السهر والتهجد مع عظمة ما يدخر لها في الجنة.

قال: ورأيت قومًا على نجائب، فقلت: ما بال هؤلاء ركبان والناس حفاة مشاة؟!

فقيل لي: هؤلاء الذين قاموا لله عز وجل على أقدامهم تقربًا إليه، أثابهم بذلك خير الثواب مراكبًا لا تروث ولا تبول، وأزواجًا لا يمتن ولا يهرمن.

قال: فصحت والله في منامي: واهًا للعابدين، ما أشرف اليوم مقامهم، واستيقظت والله وأنا وجل القلب مما كنت فيه[2].

❁❁❁

(١) التهجد (١٣٦).

(٢) التهجد (١٥١) لابن أبي الدنيا.

(٣٤) قصة الزاهد العابد مطهر السعدي

بكى مطهر السعدي -رحمه الله- شوقًا إلى الله ستين سنة، فقال: رأيت في منامي كأني على ضفة نهر تجرى بالمسك الأذفر، حافتاه شجر اللؤلؤ، ونبت من قضبان الذهب، فإذا أنا بجوارٍ مزينات يقلن بصوتٍ واحدٍ:

سبحان المسبح بكل لسانٍ سبحانه

سبحان الموحد بكل مكانٍ سبحانه

سبحان الدائم في كل زمانٍ سبحانه

قال: فقلت: من أنتن؟ فقلن: خلق من خلق الرحمن سبحانه.

فقلت: ما تصنعن هاهنا؟ فقلن:

ذرانا إله الناس رب محمدٍ لقوم على الأطراف بالليل قُوّمُ

يناجون رب العالمين إلههم وتسرى بهموم القوم والناس نُوّمُ

قال: قلت: بخٍ .. بخٍ لهؤلاء من هؤلاء، لقد أقر الله -عز وجل- أعينهم بكن.

قال: فقلن: أولا تعرفهم ؟!

قلت: لا والله ما أعرفهم.

قلن: بلى هؤلاء المتهجدون أصحاب القرآن والسهر(١).



(١) التهجد (١٥٥) لابن أبي الدنيا، وصفة الصفوة (٢/٢٣٠).

(٣٥) قصة عابد جزائر البحر

قال عبد الواحد بن زيد:

ركبنا في مركب، فطرحنا الريح إلى جزيرة، فوجدنا فيها رجلاً يعبد صنمًا، فقلنا له: يا هذا، من تعبدُ؟ فأومأ إلى الصنم.

فقلنا: إن معنا في المركب من يسوِّى مثل هذا، ليس هذا بإلهٍ يعبد.

فقال: فأنتم تعبدون من ؟!

قلنا له: نعبد الله الذي لا إله إلا هو. فقال: وما الله؟ قلنا: الذي في السماء عرشه، وفي الأرض حكمه، وفي الأحياء والأموات قضاؤه.

فقال: فكيف علمتم به؟ قلنا: وجّه هذا الملك إلينا رسولاً كريمًا، فأخبرنا بذلك.

قال: فما فعل الرسول؟ قلنا: لما أدى الرسالة قبضه الله.

قال: فما ترك عندكم علامة؟

قلنا: بل ترك عندنا كتاب الملك.

قال: أروني كتاب الملك، فينبغي أن تكون كتب الملوك حسانًا، فأتيناه بالمصحف، فقال: ما أعرف هذا، فقرأنا عليه سورة من القرآن، فلم نزل نقرأ، ويبكي حتى ختمنا السورة.

فقال: ينبغي لصاحب هذا الكلام أن لا يُعصي، ثم أسلم وحملناه معنا، وعلَّمناه شرائع الإسلام، وسُورًا من القرآن، فلما جنَّ علينا الليل وصلَّينا العشاء أخذنا مضاجعنا، فقال لنا: يا قوم، هذا الإله الذي دللتموني عليه إذا جن عليه الليل ينام؟

قلنا: لا يا عبد الله، هو عظيمٌ قيومٌ لا ينام.

قال: بئس العبيد أنتم، تنامون ومولاكم لا ينام؟! فأعجبنا كلامه.

فلما قدمنا عُبَّادان — مدينة على الخليج العربي مركز تكرير بترول إيران اليوم — قلت لأصحابي: هذا قريب عهدٍ بالإسلام فجمعنا له دراهم، وأعطيناه، فقال: ما هذه؟ قلنا: تنفقها قال: لا إله لا الله، دللتموني على طريقٍ ما سلكتموها، أنا كنت في جزائر البحر أعبد صنمًا من دونه، ولم يضيعني، يضيعني وأنا أعرفه؟!

فلما كان بعد أيامٍ، قيل لي: إنه في الموت، فأتيته، فقلت: هل من حاجةٍ؟

فقال: قضى حوائجي من جاء بكم إلى جزيرتي.

قال عبد الواحد: فحملتني عيني فنمتُ عنده، فرأيت مقابر عبادان روضةً وفيها قبة، وفي القبة سرير عليه جارية لم نر أحسن منها.

فقالت: سألتك بالله إلا ما عجَّلت به، فقد اشتد شوقى إليه، فانتبهت فإذا به قد فارق الدنيا، فغسلته، وكفنته وورايته، فلما جن الليل نمتُ فرأيته في القبة مع الجارية، وهو يقرأ[1]: ﴿وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾[2].

❁❁❁

(٣٦) قصة بكاء العابد على ورده

قال أبو جعفر البقال: كان محمد بن يحيى رجلاً من أهل الدين والفضل، فقال له البقال: قصدت يومًا منزله، فاستأذنت عليه، فلم يؤذن لي، فقلت للجارية، ما قال؟

قالت: لا أدري، إلا أنه دخل إلى بيتٍ من أول النهار، وأغلق عليه الباب، وهو يبكى بكاءً متصلاً دائمًا، فقلت لها: ارجعي فاستأذني لي عليه، وقولى له أبو جعفر البقال، فدخلت، فرأيته يبكى بكاء قويًا، ما يكاد أن يتمالك.

فقلت له: أخبرني ما حالك؟ فأراد أن يلهيني، فلم أتركه، ثم قال لي: إنه فاتني البارحة وردى، ولا أحسب ذلك كان إلا لأمرٍ أحدثته، فعوقبت بمنع وردي، وأخذ يبكي فأشفقت عليه، وأحببت أن أسهل عليه الأمر، فقلت له: ما أعجب أمري، وأمرك قد كنت أحسب أن في يدي منك شيء.

---

(١) سلوة الأحزان (ص/١٢٩) لابن الجوزي.

(٢) سورة الرعد: ٢٣، ٢٤.

قال لي: وبم ذاك؟ قلت: له: لم ترض عن الله في نومة نومك إياها، حتى قعدت تبكي بين يديه.

فقال لي: داع داعيك يا أبا جعفر، وما أحسب ذاك إلا لأمر أحدثته، وعاد عليه البكاء، ورأيته لا يرجع إلى قولي، فلما رأيت ذاك انصرفت، وتركته يبكي[1].



(٣٧) قصة عابد مع الجن المؤمن

يقول مهدي بن ميمون -رحمه الله-:

كان واصل مولى أبي عيينة جارًا لي، وكان يسكن في غرفةٍ، فكنت أسمع قراءته من الليل، وكان لا ينام من الليل إلا يسيرًا.

قال: فغاب غيبة إلى مكة، فكنت أسمع القراءة من غرفته، على نحو من صوته، كأني لا أنكر من الصوت شيئًا، وباب الغرفة مغلق.

قال: فلم يلبث أن قدم من سفره، فذكرت له ذلك، فقال: وما أنكرت من ذلك؟!

هؤلاء سكان الدار يصلون بصلاتنا، ويسمعون لقراءتنا، قال: قلت: أفتراهم؟

قال: لا، ولكني أحس بهم، وأسمع تأمينهم عند الدعاء، وربما غلب عليَّ النوم، فيوقظوني[2].

(٣٨) قصة مضر القارئ مع الحورية

قال مضر القارئ: كان رجلٌ قل ما ينام من الليل، فغلبته عيناه ذات ليلة، فنام عن جزئه، فرأى فيما يرى النائم، كأن جارية وقفت عليه، كأنها القمر المستنير.

قال: ومعها رقٌ فيه كتاب، فقالت: أتقرأ أيها الشيخ؟ قال: نعم.

قالت: فاقرأ إليَّ هذا الكتاب.

---

(١) الفوائد والزهد (ص/٣٣) للخلدي.

(٢) السابق (ص/٢٤).

قال: فأخذته من يدها ففتحته، فإذا فيه مكتوبٌ:

ألهتك لذة نومة عن خير عيشٍ مع الخيرات في غرف الجنان

تعيش مخلدًا لا موت فيها وتنعم في الخيام مع الحسان

تيقظ من منامك إن خيرًا من النوم التهجد بالقرآن

قال: فوالله ما ذكرتها قط إلا ذهب عني النوم(١).

❁❁❁

(٣٩) قصة عابد لا يهاب الحجاج الثقفي

قال طاووس بن كيسان -رحمه الله-:

بينما أنا بمكة بعث إليَّ الحجاجُ الثقفي فأجلسني إلى جنبه واتكأني على وسادة إذ سمع ملبِّيا يُلبِّي حول البيت رافعًا صوته بالتلبية، فقال: عليَّ بالرجل، فأُتى به، فقال: ممن الرجل؟ قال: من المسلمين.

قال: ليس عن الإسلام سألتك.

قال: فعمن سألت؟

قال: سألتك عن البلد.

قال: من أهل اليمن.

قال: كيف تركت محمد بن يوسف؟ يريد أخاه.

قال: تركته عظيمًا جسيمًا لبَّاسًا، ركَّابًا، خرَّاجًا ولاجًا.

قال: ليس عن هذا سألتك؟

قال: فعمَّ سألت؟

قال: سألتك عن سيرته.

---

(١) الفوائد للخلدي (ص/٢٥).

قال: تركته ظلومًا غشومًا، مطيعًا للمخلوق عاصيًا للخالق، فقال له الحجاج: ما حملك على أن تتكلم بهذا الكلام، وأنت تعلم مكانه مني؟

قال الرجل: أتراه بمكانه منك أعز مني بمكاني من الله، وأنا وافد بيته، ومصدق نبيه، وقاضي دينه.

قال: فسكت الحجاج، فما أجاب إليه جوابًا، وقام الرجل من غير أن يؤذن له فانصرف.

قال طاووس: فقمت في أثره وقلت الرجل حكيم فأتى البيت الحرام، فقال: اللهم بك أعوذ ، وبك ألوذ، اللهم اجعل لي في اللهف إلى جودك، والرضا بضمانك مندوحة عن منع الباخلين، وغنىً عما في أيدى المستأثرين.

اللهم فرجك القريب، ومعروفك القديم، وعادتك الحسنة، ثم ذهب في الناس، فرأيته عشية عرفة، وهو يقول: اللهم إن كنت لم تقبل حجتي وتعبي ونصبي، فلا تحرمني الأجر على مصيبتي بتركك القبول مني، ثم ذهب في الناس فرأيته غداة جمعٍ يقول: واسوأتاه منك والله وإن غفرت ، ويردد ذلك[١].

❁❁❁

(٤٠) قصة العُبَّاد الثلاثة في الصحراء

روى سعيد بن سنان الحمصي فقال:

أوحى الله تعالى إلى نبيٍّ من الأنبياء أن العذاب حائقٌ، فذكر ذلك النبي لقومه، وأمرهم أن يخرجوا أفاضلهم فيتوبوا.

قال: فخرجوا فأمرهم أن يخرجوا بثلاثةٍ من أفاضلهم وفدًا إلى الله تعالى، فخرجت الثلاثة أمام القوم.

فقال أحد الثلاثة: اللهم إنك أمرتنا في التوراة التي أنزلت على عبدك موسى أن لا نرد السُّؤال إذا قاموا بأبوابنا، وإنا سُؤّال من سؤالك ببابٍ من أبوابك فلا ترد من سألك.

---

(١) الزهد لأحمد (ص/٤٥٠)، الأولياء (٨٨) لابن أبي الدنيا.

وقال الثاني: اللهم إنك أمرتنا في التوراة التي أنزلت على عبدك موسى أن نعفوا عمن ظلمنا، وإنا ظلمنا أنفسنا فاعف عنا.

وقال الثالث: اللهم إنك أمرتنا في التوراة التي أنزلت على عبدك موسى أن نعتق أرقاءنا، وإنا عبيدك وأرقاؤك فأوجب لنا عتقنا.

قال: فأوحى الله إلى النبي أنه قد قبل منهم، وعفا عنهم(١).



(٤١) قصة العابد الأسود الذي مات

عن ميمون بن سياه قال: كنت أنا وخالد الربعي ونفر من أصحابنا نذكر الله، فوقف علينا رجل أسود، فقال: هل ذكرتم الموت فيما كنتم فيه؟

قلنا: إنا لنذكره كثيرًا، وما ذكرناه يومنا هذا.

قال: فبكى، وقال: لقد أغفلتم ما لا يُغفلكم، ونسيتم ما تُحصى عليكم الأنفاس لقدومه عليكم.

قال: ثم مال ليسقط وسانده رجل من القوم فخرجتُ نفسه، وإنا لننظر إليه.

قال: فنظرنا فلم نجد أحدًا يعرفه.

قال: فغسلناه، وحنطناه، وكفّنّاه ودفناه(٢).



(٤٢) قصة العابد البدوي في البيت الحرام

عن محمد بن صالح قال: بينما أنا في الطواف إذ نظرت إلى أعرابي بدوى متعلق بأستار الكعبة، وقد شخص بصره نحو السماء، وهو يقول:

يا خير من وفد الأنام إليه، ذهبت أيامي، وضعفت قوتي، وقد وردتُ إلى بيتك

---

(١) التوبة (١٣٩) لابن أبي الدنيا.

(٢) صفة الصفوة (٤/٤٣٣) لابن الجوزي.

المعظم المكرم بذنوب كثيرة لا تسعها الأرض، ولا تغسلها البحار، مُستجيرًا بعفوك منها، وحططتُ رحلى بفنائك، وأنفقت مالى في رضاك، فما الذي يكون من جزائك يا مولاى؟

ثم أقبل على الناس بوجهه، فقال: يا معشر الناس، ادعوا لمن وكزته الخطايا، وغمرته البلايا، ارحموا أسير ضُرٍّ، وغريب فاقة.

سألتكم بالذي عمَّتكم الرغبة إليه إلا سألتم الله تعالى أن يهب لي جُرمي، ويغفر لي ذنوبي.

ثم عاود فتعلق بأستار الكعبة، وقال: إلهي.. وسيدي، عظيم الذنب مكروب، وعن صالح الأعمال مردود، وقد أصبحت ذا فاقةٍ إلى رحمتك يا مولاى.

قال محمد بن صالح: ثم رأيته بعرفات، وقد وضع يساره على أم رأسه يبكي، ويقول: إلهي وسيدي ومولاى، أضحكت الأرض بالزهر، وأمطرت السماء بالرحمة، والذي أعطيت الموحدين إن نفسي لواثقةٌ لي ولهم منك بالرضا.

وكيف لا يكون كذلك، وأنت حبيب من تحبّب إليك؟! وقرة عينٍ من لاذ بك، وانقطع إليك؟

يا مولاى.. حقًا حقًا أقول، لقد أمرت بمكارم الأخلاق فاجعل وُفُودى إليك عتق رقبتي من النار[١].

❁❁❁

(٤٣) قصة الأمير العابد حميد بن جابر

قال إبراهيم بن بشار: كنت يومًا مارًا مع إبراهيم بن أدهم في صحراء إذ أتينا على قبرٍ مُسنَّم فترحم عليه وبكى، فقلت: من هذا؟

فقال: هذا قبر حميد بن جابر أمير هذه المدن كلها، كان غريقًا في بحار الدنيا، ثم أخرجه الله عز وجل منها فاستنقذه، فلقد بلغني أنه سُرّ ذات يومٍ بشيءٍ من ملاهي مُلكه

(١) صفة الصفوة (٤/٤١٣) لابن الجوزي.

ودنياه وغروره وفتنته.

قال: ثم نام في مجلسه ذلك مع من يخصُّه من أهله.

قال: فرأى رجلاً واقفا على سريره، وبيده كتاب فناوله ففتحه، فإذا فيه كتاب بالذهب مكتوب: لا تؤثرن فانيًا على باق، ولا تغترن بملكك وقدرتك وسلطانك وخدمك، وعبيدك ولذاتك وشهواتك، فإنَّ الذي أنت فيه جسيم لولا أنه عديم، وهو مُلك لولا أن بعدهُ هلكٌ[1]، وهو فرحٌ وسرورٌ لولا أنه لهوٌ وغرور.

وهو يومٌ لو كان يوثق له بغد، فسارع إلى أمر الله عز وجل، فإن الله قال: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[2].

قال: فانتبه فزعًا، وقال: هذا تنبيه من الله عز وجل وموعظة، فخرج من مُلكه لا يُعلم به، وقصد هذا الجبل فتعبد فيه.

فلما بلغتني قصته وحُدِّثت بأمره قصدته، فسألته فحدثني ببدء أمره، وحدثته ببدء أمري، فما زلت أقصده حتى مات ودفن هاهنا، فهذا قبره رحمه الله[3].

❀❀❀

(٤٤) قصة عابد جبل اللكّام بالشام

يقول ذو النون: بينما أنا سائر في جبل اللكام مررتُ على وادٍ كثير الأشجار والنبات، فبينا أنا واقفٌ أتعجب من حسن زهرته، ومن خضرة العشبِ في جنباته، إذ سمعت صوتًا أهطل مدامعي وهيَّج بلابل حزني، فاتبعت الصوت حتى وقفني بباب مغارٍ في سفح ذلك الوادي، فإذا الكلام يخرج من جوف المغار، فاطلعت فيه فإذا أنا برجلٍ من أهل التعبد والاجتهاد، فسمعته يقول:

سبحان من أخرج قلوب المشتاقين في رياض الطاعة بين يديه، سبحان من أوصل الفهم إلى عقول ذوى البصائر فهى لا تعتمد إلا عليه.

---

(١) **هلك:** كذا بالرفع، وكان ينبغي نصب هلكًا اسمًا لأن، إلا إذا جعلنا اسمها ضمير شأن محذوفًا.

(٢) سورة آل عمران: ١٣٣.

(٣) صفة الصفوة (٤/٣٥٧).

سبحان من أورد حياض المودة نفوس أهل المحبة فهي لا تحنّ إلا إليه.

ثم أمسك، فقلت: السلام عليك يا حليف الأحزان، وقرين الأشجان. فقال: وعليك السلام، ما الذي أوصلك إلى من قد أفرده خوف المسألة عن الأنام، واشتغل بمحاسبة نفسه عن التنطع في الكلام؟

قلت: أوصلني إليك الرغبة في التصفح والاعتبار.

فقال: يا فتى إن لله عز وجل عبادًا قدح في قلوبهم زند الشغف نار الومق(١)، فأرواحهم لشدة الاشتياق تسرح في الملكوت، وتنظر إلى ما ذُخر لها في حجب الجبروت.

قلت: صفهم لي؟ قال: أولئك قومٌ آووا إلى كنف رحمته، ثم قال: يا سيدي بهم فألحقني، ولأعمالهم فوفقني.

قلت: ألا توصيني بوصية؟

قال: أحب الله عز وجل شوقًا إلى لقائه، فإن له يومًا يتجلى فيه لأوليائه، وأنشأ يقول:

قد كان لي دمعٌ فأفنيته وكان لي جفن فأدميته

وكان لي جسم فأبليته وكان لي قلب فأضنيته(٢)

❁❁❁

(٤٥) قصة العابد الأسود المجاب الدعوة

قال مالك بن دينار رحمه الله:

احتبس عنا المطر بالبصرة، فخرجنا يومًا بعد يومٍ نستسقى فلم نر أثر الإجابة، فخرجت أنا وعطاء السليمي وثابت البناني ويحيى البكاء، ومحمد بن واسع، وأبو محمد السختياني، وحبيب الفارسي، وحسان بن أبي سنان، وعتبة الغلام وصالح المرى، حتى

(١) **الومق**: الحب.
(٢) صفة الصفوة (٣٤١/٤، ٣٤٢).

صرنا إلى مصلى بالبصرة، وخرج الصبيان من المكاتب، واستسقينا فلم نر أثر الإجابة، وانتصف النهار، وانصرف الناس، وبقيت أنا وثابت البناني في المصلى، فلما أظلم الليل إذا بأسود صبيح الوجه دقيق الساقين عظيم البطن عليه مئزران من صوف، فقوّمت جميع ما كان عليه بدرهمين، فجاء إلى ماءٍ فتمسح، ثم دنا من المحراب فصلىً ركعتين كان قيامه وركوعه وسجوده سواء خفيفتين، ثم رفع طرفه إلى السماء، فقال: سيدي إلى كم تردد عبادك فيما لا ينقصك؟ أنفد ما عندك، أقسمت عليك بحبك لي إلا سقيتنا غيثك الساعة.. الساعة.

قال مالك: فما أتم الكلام حتى تغيمت السماء وأخذتنا كأفواه القرب، وما خرجنا من المصلى حتى خضنا الماء إلى ركبنا.

قال: فبقيت أنا وثابت متعجبين من الأسود، ثم انصرف فتبعناه.

قال: فتعرضت له، فقلت له: يا أسود، أما تستحى مما قلت؟ قال: وماذا قلت؟ قال: قلت له: قولك بحبك لي، وما يدريك أنه يحبك؟

قال: تنح عن همٍ لا تعرفها، يا من اشتغل عنه بنفسه، أين كنت أنا حين خصني بالتوحيد وبمعرفته؟ أفتراه بدأني بذلك إلا بمحبته لي على قدره، ومحبتي له على قدري.

قال: ثم بادر يسعى، فقلت له: رحمك الله ارفق بنا.

قال: أنا مملوك على فرض من طاعة مالكي الصغير.

قال: فجعلنا نتبعه من البعد حتى دخل دار نخاس، وقد مضى من الليل نصفه، فطال علينا النصف الباقي.

فلما أصبحنا أتيت النخاس، فقلت له: عندك غلام تبعنيه للخدمة. قال: نعم، عندي مائة غلام كلهم لذلك.

قال: فجعل يخرج إليَّ واحدًا بعد آخر وأنا أقول: غير هذا، حتى عرض عليَّ تسعين غلامًا، ثم قال: ما بقى عندي غيرها ولا واحد

قال: فلما أردنا الخروج دخلت أنا حجرة خربة في خلف داره، فإذا أنا بالأسود نائم، فكان وقت القيلولة، فقلت: هو هو ورب الكعبة، فخرجت إلى عند النخاس فقلت له: بعني ذلك العبد الأسود.

فقال لي: يا أبا يحيى، ذاك غلام مشئوم نكد، ليست له بالليل همة إلا البكاء، وبالنهار إلا الصلاة والنوم. فقلت له: ولذلك أريده.

قال: فدعا به وإذا هو قد خرج ناعسًا، فقال لي: خذه بما شئت بعد أن تبريني من عيوبه كلها، فاشتريته بعشرين دينارًا بالبراءة من كل عيب.

فقلت: ما اسمه؟ قال: ميمون.

قال: فأخذت بيده فأتيت به المنزل، فبينا هو يمشي معي إذ قال لي: يا مولاى الصغير لماذا اشتريتني وأنا لا أصلح لخدمة المخلوقين. قال: مالك؟ فقلت له: حبيبي، إنما اشتريناك لنخدمك نحن بأنفسنا وعلى رءوسنا، فقال: و لم ذاك؟

فقلت: أليس أنت صاحبنا البارحة في المصلى؟

فقال: وقد اطلعتما على ذلك؟

فقلت: أنا الذي اعترضت عليك في الكلام.

قال: فجعل يمشي حتى صار إلى مسجد فدخله وصف قدميه فصلى ركعتين، ثم رفع طرفه إلى السماء، فقال: إلهي.. وسيدي سرًا كان بيني وبينك أظهرته للمخلوقين، أقسمت عليك إلا قبضت روحي الساعة.. الساعة.

ثم سجد فدنوت منه فانتظرته ساعة فلم يرفع رأسه، فحركته فإذا هو ميت، قال: فمددت يديه ورجليه، فإذا وجه ضاحك، وقد ارتفع السواد، وصار وجهه كالقمر، وإذا بشاب قد أقبل من الباب، فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أعظم الله أجرنا في أخينا، هاكم الكفن فكفنوه فيه، فناولني ثوبين ما رأيت مثلهما، ثم خرج فكفناه فيهما(١).



(٤٦) قصة العابد يزيد بن هارون بعد موته

قال حوثرة بن محمد المقرئ:

---

(١) الحلية (١٠/١٧٤) لأبي نعيم.

رأيت يزيد بن هارون في المنام بعد موته بأربع ليالٍ، فقلت: ما فعل الله بك؟

قال: تقبل مني الحسنات، وتجاوز عن السيئات، ووهب لي التبعات، قلت: وما كان بعد ذلك؟

قال: هل يكون من الكريم إلا الكرم؟! غفر لي ذنوبي وأدخلني الجنة.

قلت: بم نلت؟ قال: بمجالس الذكر، وقول الحق، وصدقي في الحديث، وطول قيامي في الصلاة، وصبري على الفقر.

قلت: منكر ونكير حق؟

قال: إي والله، والله الذي لا إله إلا هو لقد أقعداني وسألاني: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فجعلت أنفض لحيتي البيضاء من التراب.

فقلت: مثلي يُسأل، أنا يزيد بن هارون الواسطي، وكنت في دار الدنيا ستين سنة أُعلّم الناس.

فقال أحدهما: صدق، هو يزيد بن هارون، نم نومة العروس، ولا روعة عليك بعد اليوم[1].

❁❁❁

(٤٧) قصة العابد الذي عاش بعد الموت

عن عبد الملك بن عمير -رحمه الله-، قال: عن ربعي بن حراش -رحمه الله- قال: كنا إخوة ثلاثة، وكان أعبدنا، وأصومنا، وأفضلنا الأوسط منا، فغبتُ غيبةً إلى السواد، ثم قدمتُ على أهلي، فقالوا: أدرك أخاك فإنه في الموت.

فخرجت أسعى إليه فانتهيت إليه، وقد قضى، وسُجّيَ بثوبٍ ، فقعدت عند رأسه أبكيه، فرفع يده فكشف الثوب عن وجهه، وقال:

السلام عليكم. قلت: أي أخي أحياة بعد الموت؟! قال: نعم، إني لقيت ربي، فلقيني بروحٍ وريحان، وربٍ غير غضبان، وأنه كساني ثيابًا خُضرًا من سندسٍ وإستبرقٍ، وإني

---

(١) صفة الصفوة (١٩/٣) لابن الجوزي.

وجدت الأمر أيسر مما تحسبون، ثلاثًا.

وإني لقيت رسول الله ﷺ فأقسم أن لا أبرح حتى آتيه، فعجّلوا جهازي، ثم طَفِئ — المراد مات— فكأنه أسرع من حصاة أُلقيت في ماء[1].

۞۞۞

(٤٨) قصة العابد الخفى أويس القرني

قال هرم بن حيان —رحمه الله— :

قدمت الكوفة، ولم يكن لي من همٍ إلا طلب أويس القرني، حتى سقطت عليه جالسًا على شاطئ الفرات نصف النهار يتوضأ، فعرفته بالنعت الذي نُعت لي، فإذا رجل نحيل آدم، شديد الأدمة، أشعث محلوق الرأس، مهيب المنظر، فسلّمت عليه فرد عليَّ ونظر إليّ، ومددت يدي لأصافحه فأبى أن يصافحني.

فقلت: رحمك الله يا أويس وغفر لك، كيف أنت؟ وخنقتني العبرة من حبي إياه ورقتي عليه، لما رأيت من حاله حتى بكيت وبكى.

قال: وأنت فحياك الله يا هرم بن حيان، كيف أنت يا أخي، مَنْ دلَّك عليَّ؟

قلت: الله.

قال: لا إله إلا الله: ﴿ سُبْحَانَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴾ [2].

فقلت: ومن أين عرفت اسمي، واسم أبي ، وما رأيتك قبل اليوم ولا رأيتني؟

قال: عرفت روحي روحك حين كلّمت نفسي نفسك، إن المؤمنين يعرف بعضهم بعضًا، ويتحابون بروح الله عز وجل، وإن لم يلتقوا إن نأت بهم الدار، وتفرقت بهم المنازل.

قلت: حدثني رحمك الله عن رسول الله ﷺ.

قال: إني لم أدرك رسول الله ﷺ، ولم يكن لي معه صحبة بأبي وأمي رسول الله،

---

(١) السابق (٣/٣٧).

(٢) سورة الإسراء: ١٠٨.

ولكني قد رأيت رجالاً قد رأوه، ولست أحب أن أفتح على نفسي هذا الباب، أن أكون محدثًا، أو قاضيًا، أو مفتيًا، وفي نفسي شغلٌ عن الناس.

فقلت: أي أخي اقرأ عليَّ آيات من كتاب الله عز وجل أسمعها منك، وأوصني بوصية أحفظها عنك، فإني أحبك في الله، فأخذ بيدي، فقال: أعوذ بالله السميع من الشيطان الرجيم، قال ربي، وأحق القول قول ربي عز وجل، وأصدق الحديث حديث ربي عز وجل، ثم قرأ:

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾. إلى ﴿ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ [١].

فشهق شهقة فنظرت إليه، وأنا أحسبه قد غُشي عليه، ثم قال: يا هرم بن حيان، مات أبوك حيان، ويوشك أن تموت أنت، فإما إلى الجنة، وإما إلى النار، ومات أبوك آدم، وماتت أمك حواء يا ابن حيان، ومات نوح نبي الله، ومات إبراهيم خليل الله، ومات موسى كليم الله، ومات داود خليفة الرحمن، ومات محمد ﷺ، وعلى جميع الأنبياء، ومات أبو بكر خليفة رسول الله، ومات أخي وصديقي عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

فقلت له: يرحمك الله إن عمر لم يمت.

قال: بلى قد نعاه إليَّ ربي عز وجل، ونعى إليَّ نفسي، وأنا وأنت في الموتى.

ثم صلى على النبي ﷺ، ودعا بدعوات خفاف، ثم قال: هذه وصيتي إياك: كتاب الله، ونعى المرسلين، ونعى صالح المؤمنين، فعليك بذكر الموت، ولا يفارقن قلبك طرفة عين ما بقيت، وأنذر قومك إذا رجعت إليهم، وانصح للأمة جميعًا، وإياك أن تفارق الجماعة، فتفارق دينك وأنت لا تعلم، فتدخل النار، وادع لي ولنفسك.

ثم قال: اللهم إن هذا زعم أنه يحبني فيك وزارني من أجلك فعرفني وجهه في الجنة، وأدخله على دارك، دار السلام، واحفظه ما دام حيًا، وأرضه من الدنيا باليسير، واجعله لما أعطيته من نِعَمِك من الشاكرين، واجزه عني خيرًا.

ثم قال: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، لا أراك بعد اليوم إن شاء الله تعالى رحمك الله، فإني أكره الشهرة، والوحدة أحب إليَّ، لأني كثير الغم ما دمتُ مع هؤلاء

---

(١) سورة الدخان: ٣٨-٤٢.

الناس، فلا تسأل عني ولا تطلبني ، واعلم أنك مني على بال، وإن لم أرك وترني.

واذكرني وادع لي فإني سأدعو لك وأذكرك إن شاء الله، فانطلق أنت هاهنا حتى آخذ أنا هاهنا.

فحرصت على أن أمشي معه ساعة، فأبى عليَّ ففارقته أبكى ويبكى، فجعلت أنظر إليه، حتى دخل بعض السِّكك، ثم سألت بعد ذلك وطلبته فلم أجد أحدًا يخبرني عنه بشيءٍ، وما أتت عليَّ جمعة إلا وأراه في منامي مرة أو مرتين[١].

❁❁❁

(٤٩) قصة ليالى العُبّاد الزهاد

قال مطر الوراق: بات هرم بن حيان العبدي ليلة عند حممة، قال: فبات حممة ليلته يبكى كلها حتى أصبح ، فلما أصبح قال له هرم: يا حممة ما أبكاك ؟

قال: ذكرت ليلةً صبيحتها تبعثر القبور فيخرج من فيها.

قال: وبات حممة عند هرم بن حيان، فبات ليلته يبكى، حتى أصبح، فسأله حين أصبح: ما الذي أبكاك؟

قال: ذكرت ليلةً صبيحتها تناثر نجوم السماء، فأبكاني ذلك.

قال: وكان يصطحبان أحيانًا بالنهار فيأتيان سوق الريحان، فيسألان الله الجنة، ويدعوان، ثم يأتيان الحدادين فيعوذان من النار ثم يتفرقان إلى منازلهما.

وكان هرم بن حيان يقول: ما رأيت كالنار نام هاربها، ولا كالجنة نام طالبها[٢].

❁❁❁

---

(١) صفة الصفوة (١٥/٣).

(٢) صفة الصفوة (٢١٤/٣).

(٥٠) قصة عابد مع الأسد

قال جعفر بن يزيد العبدي:

خرجنا في غزاةٍ إلى كابل – عاصمة أفغانستان اليوم – وفي الجيش صلة بن أشيم، فنزل الناس عند العتّمة، فقلت: لأرمقن عمله فأنظر ما يذكر الناس من عبادته، فصلى العتمة، ثم اضطجع فالتمس غفلة الناس حتى قلتُ هدأت العيون، وثب فدخل غيضة – مجتمع الأشجار – قريبًا منه، ودخلت في أثره، فتوضأ، ثم قام يصلي.

قال: وجاء أسدٌ حتى دنا منه.

قال: فصعدتُ في شجرةٍ، قال: فتراه التفت؟ أو عدّه جُرذًا، يعني فأرًا!! حتى سجد فقلت: الآن يفترسه، فجلسً ثم سلّم، فقال: أيها السبع اطلب الرزق من مكانٍ آخر، فولّى وإن له لزئيرًا تصدع الجبال منه، فما زال كذلك.

فلما كان عند الصبح جلس فحمد الله –عز وجل- بمحامد لم أسمع بمثلها إلا ما شاء الله.

ثم قال: اللهم إني أسألك أن تجيرني من النار، أو مثلي يجترئ أن يسألك الجنة؟!

ثم رجع فأصبح كأنه بات على الحشايا، وأصبحتُ وبي من الفترة – الضعف والانكسار – شيءٌ الله به عليم.

قال: فلما دنوا من أرض العدو، قال الأمير: لا يَشِذّن أحدٌ من العسكر.

قال: فذهبت بغلته بثقلها فأخذ يصلي.

فقالوا له: إن الناس قد ذهبوا فمضى، ثم قال: دعوني أصلي ركعتين. فقالوا: الناسُ قد ذهبوا. قال: إنهما خفيفتان.

قال: فدعا، ثم قال: اللهم إني أقسم عليك أن ترد بغلتي وثقلها.

قال: فجاءت حتى قامت بين يديه، قال: فلما لقينا العدو حمل هو وهشام بن عامر فصنعا بهم طعنًا وضربًا وقتلاً، فكُسر ذلك العدو، فقالوا:

رجلان من العرب صنعا بنا هذا فكيف لو قاتلونا؟! فأعطوا المسلمين حاجتهم[١].

❁❁❁

(٥١) قصة العابد مع البشرى بالجنة

قال جعفر بن سليمان:

سمعت مالك بن دينار يسأل هشام بن حسان العدوي عن هذا الحديث، فحدثناه يومئذ، قال: تجهز رجلٌ من أهل الشام وهو يريد الحج، فنام فأتاه آت في منامه فقال له: ائت العراق، ثم ائت البصرة، ثم ائت بنى عدى، فأتِ العلاء بن زياد، فإنه رجلٌ رَبْعة[٢] أقصم الثنية[٣] بسّام فبشره بالجنة.

قال: فقال: رؤيا ليست بشيءٍ.

قال: حتى إذا كانت الليلة الثانية رقد، فأتاه آت فقال: ألا فأت العراق، ثم تأتي البصرة، ثم تأتي بني عدي فتلقى العلاء بن زياد، رجلٌ ربعة أقصم الثنية بسّام فبشره بالجنة.

قال: فأصبح فأعد جهازه إلى العراق، فلما خرج من البيوت إذا الذي أتاه في منامه يسير بين يديه يراه ما سار، فإذا نزل فقده، فلم يزل يراه حتى دخل الكوفة، ثم فقده، قال: فتجهز من الكوفة فخرج فرآه يسير بين يديه حتى قدم البصرة، فأتى بنى عدي فوقفت على باب العلاء فسلّم.

قال هشام: فخرجت إليه، فقال لي: أنت العلاء بن زياد؟

قلت: لا، انزل رحمك الله فتضع رحلك ومتاعك؟

قال: لا، أين العلاء بن زياد؟

قال: قلت: هو في المسجد.

---

(١) صفة الصفوة (٣/٢١٧، ٢١٨).

(٢) **ربعة**: المتوسط القامة.

(٣) **أقصم**: المنكسر الثنية من النصف.

قال: وكان العلاء يجلس في المسجد يدعو بدعوات ويتحدث.

قال هشام: فأتيت العلاء فخفف من حديثه، وصلى ركعتين، ثم جاء فلما رآه العلاء تبسم فبدت ثنيته، فقال: هذا والله صاحبي.

قال: **فقال العلاء**: هلا حططت رحل الرجل؟ ألا أنزلته؟ قلت: قد قلت له فأبى.

فقال العلاء: انزل رحمك الله.

قال: فقال : أخْلِنِي.

قال: فدخل منزله وقال: يا أسماء تحّولي إلى البيت الآخر، قال: فتحولت ودخل الرجل فبّشره برؤياه، ثم خرج فركب وقام العلاء فأغلق بابه فبكى ثلاثة أيام، لا يذوق فيها طعامًا.

قال هشام: فسمعته يقول في خلال بكائه: أنا.. أنا؟!!

قال : فكنا نهابه أن نفتح بابه، وخشيت أن يموت، فأتيت الحسن فذكرت ذلك له، وقلت: لا أراه إلا ميتًا لا يأكل، ولا يشرب باكيًا، فجاء الحسن البصري حتى ضرب عليه بابه، وقال: افتح يا أخي.

قال: فلما سمع كلام الحسن البصري قام ففتح بابه، وبه من الضر شيء الله به عليم، فكلمه الحسن، ثم قال: رحمك الله، ومن أهل الجنة إن شاء الله.

أفقاتلٌ نفسك أنت؟!

قال العلاء: لا تحدثوا بها ما كنت حيًا[1].



(٥٢) قصة العابد والساق المكسورة

قال عبد الواحد بن زيد:

أصابتني علة في ساقي، فكنت أتحامل عليها للصلاة، فقمت عليها من الليل، فأجهدت وجعًا فجلست، ثم لففت إزاري في محرابي، ووضعت رأسي عليه فنمت.

---

(١) صفة الصفوة (٣/٢٥٥).

فبينما أنا كذلك إذا بجارية تفوق الدّمى حُسنًا تخطر بين جوار مزينات حتى وقفت عليَّ وهن خلفها، فقالت لبعضهن: ارفعنه، ولا تهيجنه، فأقبلن نحوي فاحتملنني عن الأرض، وأنا أنظر إليهن في منامي.

ثم قالت لغيرهن من الجواري اللائي معها: افرشنه، ومهّدنه، ووطئن له ووسّدنه.

قال: ففرشن تحتي سبع حشايا لم أر لهن في الدنيا مثلاً، ووضعن تحت رأسي مرافق خُضرًا حسانًا.

ثم قالت للائى حملنني: اجعلنه على الفُرش رويدًا لا تهيجنه.

قال: فجعلت على تلك الفرش، وأنا أنظر إليها وما تأمر به من شأني، ثم قالت: احففنه بالريحان.

قال: فأُتي بياسمين فحفّت به الفُرش، ثم قامت إليَّ فوضعت يدها على علتي التي كنت أجد في ساقي، فمسحت ذلك المكان بيدها، ثم قالت:

قُم شفاك الله إلى صلاتك غير مضرور.

قال: فاستيقظت والله كأنى قد أُنشطت من عقال، فما اشتكيت تلك العلة ليلتي تلك، ولا ذهبت حلاوة منطقها من قلبي: قُم شفاك الله إلى صلاتك غير مضرور[1].

❀❀❀

(٥٣) قصة العابد عطاء مع الشراب

عن صالح المري، قال: قلت لعطاء السليمي:

إنك قد أضررت بنفسك، وأنا متكلف لك شيئًا فلا ترد كرامتي.

قال: أفعل.

قال: فاشتريت له سويقًا من أجود ما وجدت، وسمنًا فجعلت له شربة ولينّتها وحليتها وأرسلتها مع ابني، وكوزًا من ماء، وقلت له: لا تبرح حتى يشربها.

فرجع فقال: قد شربها، فلما كان من الغد جعلت له نحوها، ثم سرّحت بها مع ابني

(١) صفة الصفوة (٣/٣٢٣).

فرجع بها و لم يشربها.

قال: فأتيته فلُمته فقلت: سبحان الله رددت عليَّ كرامتي؟! إن هذا مما يعينك ويقويك على الصلاة، وعلى ذكر الله.

قال: فلما رآني قد وجدت – غضبت – من ذلك، قال: يا أبا بشر لا يسوءك الله قد شربتها أول ما بعثت بها، فلما كان الغد راودتُ نفسي على أن تُسيغها فما قدرت على ذلك، إذا أردت أن أشربها ذكرتُ هذه الآية:

﴿ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ [1].

فبكى صالح عند هذا، وقال: قلت لنفسي: ألا أراني في وادٍ، وأنت في آخر [2].

❁❁❁

(٥٤) قصة الحجاج العابد

قال أبو عبد الله مؤذن مسجد بني جدار:

جاورنى شابٌ فكنت إذا أذّنت للصلاة وأقمت كأنه في نُقرة قفاى، فإذا صليت صلى، ثم لبس نعليه فدخل منزله، فكنت أتمنى أن يكلمنى أي يسألني حاجة.

فقال لي ذات يوم: يا أبا عبد الله، عندك مصحف تُعيرني أقرأ فيه؟ فأخرجت إليه مصحفًا فدفعته إليه فضمّه إلى صدره، ثم قال: ليكونن اليوم لي ولك شأن.

ففقدته ذلك اليوم فلم أره يخرج، فأقمت المغرب فلم يخرج، وأقمت العشاء الآخرة فلم يخرج، فساء ظني فلما صليت العشاء الآخرة جئت إلى الدار التي هو فيها، فإذا فيها دلوٌ ومطهرة، وإذا على بابه ستر، فدفعت الباب فإذا هو ميت، والمصحف في حجره، فأخذت المصحف من حجره، واستعنت بقومٍ على حمله حتى وضعناه على سريره.

وبقيت ليلتي أفكر من أُكلّم حتى يكفّنه – أي يتكفل بأمر كفنه – فأذنت الفجر،

---

(١) سورة إبراهيم: ١٧.

(٢) السابق (٣/٣٢٦).

ودخلت المسجد لأركع، فإذا بضوءٍ في القبلة فدنوت منه، فإذا كفن ملفوف في القبلة، فأخذته وحمدت الله عز وجل، وأدخلته البيت وخرجت، فأقمت الصلاة.

فلما سلّمت إذا عن يميني ثابت البناني ومالك بن دينار، وحبيب الفارسي وصالح المرى.

فقلت لهم: يا إخوانى ما غدا بكم؟ قالوا لي. مات في جوارك الليلة أحد؟!

قلت: مات شابٌ كان يصلي معي الصلوات.

فقالوا لي: أرناه، فلما دخلوا عليه كشف مالك بن دينار الثوب عن وجهه، ثم قَبَّل موضع سجوده، ثم قال:

بأبي أنت يا حجاج إذا عُرفت في موضعٍ تحولت منه إلى موضعٍ غيره حتى لا تُعرف، خذوا في غسله، وإذا مع كل واحدٍ منهم كفن، فقال كل واحد منهم: أنا أكفنه. فلما طال ذلك منهم قلت لهم: إني فكرتً في أمره هذه الليلة، فقلت: من أكلم حتى يكفنه، فأتيت المسجد فأذنت، ثم دخلت لأركع فإذا كفن ملفوف لا أدري من وضعه؟

فقالوا: يُكُفَّن في ذلك الكفن فكفناه، وأخرجناه، فما كدنا نرفع جنازته من كثرة من حضره من الناس(١).

❁❁❁

(٥٥) قصة العابد ضيغم مع أمه

قال مالك بن ضيغم: قالت أمي ذات يوم: ضيغم!

قال أبي: لبيك يا أماه. قالت: كيف فرحك بالقدوم على الله؟

قال: فصاح صيحة لم يسمعوا مثلها، وسقط مغشيًا عليه، فجلست العجوز تبكى عند رأسه، وتقول: بأبي أنت ما نستطيع أن نذكر بين يديك شيئًا من أمر ربك.

قال: وقالت له يومًا: ضيغم!

قال: لبيك يا أماه.

قالت: تحب الموت؟

(١) صفة الصفوة (٣/٣٥٧).

قال: نعم يا أماه.

قالت: ولِمَ يا بنى؟

قال: رجاء خير ما عند الله.

قال: فبكت العجوز وبكى فتسامع أهل الدار فجلسوا يبكون لبكائهم.

قال: وقالت له يومًا آخر: ضيغم!

قال: لبيك يا أماه.

قالت: تحب الموت؟

قال: لا يا أماه. قالت: لِمَ يابني ؟

قال: لكثرة تفريطي وغفلتي عن نفسي.

قال: فبكت العجوز، وبكى ضيغم، واجتمع أهل الدار وجعلوا يبكون(١).

❁❁❁

(٥٦) قصة العابد منصور بن عمار

عن سليم بن منصور قال: رأيت أبي في المنام فقلت: ما فعل الله بك؟ فقال: إن الرب قربني وأدناني، وقال لي: يا شيخ السوء، تدري لِمَ غفرت لك؟

قلت: لا يا إلهي.

قال: إنك جلست للناس يومًا مجلسًا، فأبكيتهم، فبكى فيهم عبدٌ من عبادي لم يبك من خشيتي قط، فغفرتُ له، ووهبتُ أهل المجلس كلهم له، ووهبتك فيمن وهبت له.

وقال أبو الحسين السعدالي: رأيت منصور بن عمار في المنام، فقلت له: ما فعل الله بك؟

قال: وقفت بين يديه، فقال لي: أنت الذي كنت تُزهد الناس في الدنيا، وترغب فيها؟

قلت: قد كان ذاك، ولكن ما اتخذت مجلسًا إلا بدأت بالثناء عليك وثنيت بالصلاة على نبيك ﷺ، وثلثت.

---

(١) السابق (٣/٣٥٩).

(٥٧) قصة دعاء عابد مخلص

عن علي بن أبي حرارة قال:

كانت أمي مقعدة منذ عشرين سنة، فقالت لي يومًا: اذهب إلى أحمد بن حنبل فسله أن يدعو الله لي.

فمضيت فدققتُ عليه الباب، فقال: مَنْ هذا؟ فقلت: رجلٌ من أهل ذلك الجانب، سألتني أمي وهى زَمِنَة مقعدة أن أسألك أن تدعو الله لها.

فسمعت كلامه كلامَ رجلٍ مغضب وقال: نحن أحوج أن تدعو الله لنا، فوليت منصرفًا فخرجت عجوزٌ من داره فقالت: أنت الذي كلّمت أبا عبدالله؟

قلت: نعم. **قالت:** قد تركته يدعو الله لها.

قال: فجئت من فورى إلى البيت فدققتُ الباب فخرجت على رجليها تمشى حتى فتحت لي الباب وقالت: قد وهب الله لي العافية(١).



(٥٨) قصة دعوات الشافعي

قال الشافعي –رحمه الله–:

دهمني – أصابني – في هذه الأيام أمرٌ أمضني وآلمني، ولم يطلع عليه غير الله عز وجل، فلما كان البارحة أتاني آت في منامي فقال لي:

يا محمد بن إدريس، قل اللهم إني لا أملك لنفس نفعًا ولا ضرًا، ولا موتًا، ولا حياة، ولا نشورًا، ولا أستطيع أن آخذ إلا ما أعطيتني ولا أتقى إلا ما وقيتني.

اللهم فوفقني لما تحب وترضى من القول والعمل في عافية.

فلما أصبحت أعدت ذلك، فلما ترحل النهار أعطاني الله عز وجل طلبي، وسهل لي

---

(١) صفة الصفوة (٢/ ٣٥٠).

الخلاص مما كنت فيه، فعليكم بهذه الدعوات لا تغفلوا عنها[١].

(٥٩) قصة عابد كريم

عن مطر الوراق قال: أتيتُ محمد بن واسع يومًا، فلما رآني قال برأسه بين رجليه، فخمَّر وجهه أن أنظر إليه، فلم يرفع رأسه، فقمت، فذهبت.

فلما كان بعد أيامٍ أتاني بكيسٍ فيه سبعمائة درهم فدفعها إليَّ، وأنا في حانوتي، **فقلت**: تبعثْ إليَّ في حوائجك؟ فقال: وأي حاجةٍ له. أتيتني فظننتُ بك الحاجة، فما استطعت أن أنظر إليك.

قال مطر فقلت له: أنا بخير.

فقال: أنت كيف شئت!! الدراهم لا ترجع إليَّ[٢].



(٦٠) قصة العابد المبتلى

روى هشام بن عروة عن أن أباه عروة بن الزبير –رحمه الله– خرج إلى الوليد بن عبد الملك فوقع في رجله الأكلة.

فقال له الوليد: أبعث لك بالأطباء ، فقالوا له: ليس لها دواء إلا القطع.

فقطعت وإنه لصائمٌ ، فما ظهر عليه الاضطراب.

ودخل ابنٌ له أكبر ولده إلى اصطبل الدواب، فرفسته دابة فقتلته، فما سمع من أبي في ذلك شيء حتى قدم المدينة، فقال:

اللهم إنه كان لي أطرافٌ أربعة، فأخذت واحدًا، وأبقيت ثلاثة فلك الحمد، وكان

(١) إتحاف السادة (١٤/٤١١) للزبيدى.

(٢) الإخوان (١٨٢) لابن أبي الدنيا.

لي بنون سبعة فأخذت واحدًا وأبقيت لي ستة فلك الحمد.

وا يم الله لئن أخذت فلقد أبقيت، ولئن أبليت طالما عافيت.

وعندما نظر إلى رجله في الطست.

قال: إن الله يعلم أني ما مشيت بك إلى معصيةٍ قط أو حرام.

وكان أحسن من عزاه إبراهيم بن محمد بن طلحة، قال له:

والله ما بك حاجة إلى المشي، ولا أرب في السعى، وقد تقدمك عضوٌ من أعضائك، وابن من أبنائك إلى الجنة، والكل تبع للبعض إن شاء الله.

وقد أبقى الله لنا منك ما كنا إليه فقراء، من علمك ورأيك، والله ولىُّ ثوابك[1].

❁❁❁

(٦١) قصة الشاب العابد

دخل قومٌ على عمر بن عبد العزيز – رحمه الله – يعودونه في مرضٍ، فإذا فيهم شابٌ ناحلٌ ذابلٌ، فقال له عمر:

يا فتى، ما الذي بلغ بك ما أرى؟

قال: يا أمير المؤمنين، أمراضٌ، وأسقامٌ.

فقال عمر: لتصدقني؟

قال: يا أمير المؤمنين، ذقت حلاوة الدنيا فوجدها مُرّة فصغر في عيني زهرها وحلاوها، واستوى عندها حجرها وذهبها.

وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزًا، وإلى الناس يُساقُون إلى الجنة، وإلى النار، فأظمأت لذلك نهاري، وأسهرت له ليلي، وقليل حقير كل ما أنا فيه في جنب ثواب الله، وجنب عقابه[2].

❁❁❁

---

(١) الحلية (١٧٩/٢)، سير أعلام النبلاء (٤٣٠/٤)، وفيات الأعيان (٢٥٦/٣).

(٢) عيون الأخبار (٣٨٠/٢).

(٦٢) قصة العابد مع نملة

يقول محمد بن نعيم -رحمه الله-:

دخلتُ على بشر بن الحارث في علته، فقلت: عظني.

فقال: إن في هذه الدار نملة تجمع الحب في الصيف لتأكله في الشتاء.

فلما كان يوم أخذت في فمها حبة، فجاء عصفورٌ فأخذها والحبة، فلا ما جمعت أكلت، ولا ما أمَّلت نالت.

قلت له: زدني.

قال: ما تقول فيمن القبر مسكنه، والصراط جوازه، والقيامة موقفه، والله مسائله، فلا يعلم إلى جنةٍ يصير فيهنّئ أو إلى نارٍ فيُعزى؟!

فواطول حزناه، وواعظم مصيبتاه، زاد البكاء فلا عزاء، واشتد الخوف فلا أمن.

فانظر خبزك من أين هو؟ وانظر مسكنك الذي تتقلب فيه كيف هو؟

ولا تحب أن تحمد، ولا تحب الثناء(١).

❁❁❁

(٦٣) قصة عابد عند وفاة زوجته

روى مالك في الموطأ عن يحيى بن سعيد عن القاسم قال:

هلكت امرأةٌ لي، فأتاني محمد بن كعب القرظي يعزيني بها، فقال: إنه كان في بني إسرائيل رجل فقيه عالم عابد مجتهد، وكانت له امرأة، وكان بها معجبًا، ولها محبًا، فماتت فوجد عليها وجدًا شديدًا، وتأسف عليها تأسفًا شديدًا، حتى خلا في بيت وأغلق على نفسه واحتجب، وإن امرأةً سمعت به فجاءته، فقالت: إن لي إليه حاجةً أستفتيه فيها ليس يجزيني إلا مشافهته، فذهب الناس ولزمت بابه.

وقالت: مالي منه بُدٌّ ، فقال له قائل: إن هاهنا امرأة أرادت أن تستفتيك.

---

(١) تاريخ بغداد (٣/٣٢١) للخطيب البغدادي.

قال: ائذنوا لها، فدخلتَ، فقالت: إني استعرت من جارةٍ لي حُليًا، وكنت ألبسه وأعيره، فلبث عندي زمانًا، ثم إنهم أرسلوا إليَّ فيه، أفأرده إليهم؟

قال: نعم، والإله.

قالت: إنه مكث عندي زمانًا، قال: فذاك أحق لردك إياه إليهم.

قالت: أفتتأسف على ما أعارك الله، ثم أخذه منك وهو أحق به منك، فأبصر ما هو فيه ونفعه الله تعالى بقولها.

❁❁❁

(٦٤) قصة عابد أراد الحج

أراد جعفر بن محمد الحج، فمنعه الخليفة أبو جعفر المنصور ثاني خلفاء بنى العباس، **فقال جعفر بن محمد**: الحمد لله الكافي، سبحان الله الأعلى، حسبى الله وكفى، ليس من الله منجى، ما شاء الله قضى ، ليس وراء الله منتهى.

توكلت على الله ربى وربكم، ما من دابة إلا وهو آخذ بناصيتها، إن ربي على صراط مستقيم، اللهم إن هذا عبدٌ من عبيدك، خلقته كما خلقتني، ليس له عليَّ فضل، إلا ما فضلته عليَّ به فاكفني شره، وارزقني خيره.

واقدح لي في قلبه المحبة، واصرف عني أذاه، لا إله إلا أنت، سبحان الله رب العرش العظيم، وصلى الله على محمد النبي وعلى آله وسلم كثيرًا.

فأذن له أبو جفر المنصور في الحج[1].



(١) الفرج بعد الشدة (١/١٨٠) للتنوخي.

(٦٥) قصة بدء صلاح العابد إبراهيم بن أدهم

قال إبراهيم بن بشار خادم إبراهيم بن أدهم:

قلت: يا أبا إسحاق، كيف كان أوائل أمرك؟

قال: كان أبي من أهل بلخ – مدينة مشهورة بخراسان – وكان من ملوك خراسان، وحُبِّب إلينا الصيد، فخرجت راكبًا فرسى، وكلبى معي، فبينما أنا كذلك ثار أرنبٌ أو ثعلبٌ، فحركتُ فرسى فسمعت نداءً من ورائي:

ليس لذا خلقت، ولا بذا أُمرت! فوقفت أنظر يمنةً ويسرةً، فلم أر أحدًا.

فقلت: لعن الله إبليس.

ثم حركت فرسى فأسمع نداءً أجهر من ذلك، يا إبراهيم ليس لذا خُلقت، ولابذا أُمرت، فوقفت أنظر يمنةً ويسرةً، فلا أرى أحدًا، فقلت: لعن الله إبليس! ثم حركت فرسى فأسمع نداءً من سرجى:

يا إبراهيم ! ما لذا خُلقت، ولا بذا أُمرت! فوقفت فقلت: أنبهتَ أنبهت! جاءني نذرٌ من رب العالمين، والله لا عصيت الله بعد يومي هذا ما عصمني ربي.

فرجعت إلى أهلي، ثم جئت إلى أحد رعاة أبي، فأخذتُ منه جبةً وكساءً، وألقيت ثيابي إليه، ثم أقبلت إلى العراق، أرضٌ ترفعني، وأرضٌ تضعني، حتى وصلت إلى العراق، فحملت بها أيامًا، فلم يصف لي منها – يعني الحلال – فسألت بعض المشايخ، فقال لي: إذا أردت الحلال فعليك ببلاد الشام.

فسرتُ إلى مدينة يقال لها: المصيصة فعملت بها أيامًا فلم يصف لي شيءٌ من الحلال، فسألت بعض المشايخ، فقالوا لي:

إذا أردت الحلال الصافي، فعليك بطرسوس، فإن فيها المباحات والعمل الكثير، فتوجهت إلى طرسوس فعملت بها أيامًا أنظر البساتين، وأحصد الحصاد.

فبينا أنا قاعد على باب البحر، جاءني رجلٌ فاكتراني أنظر له بستانه، فكنت في البستان أيامًا كثيرة، فإذا أنا بخادم قد أقبل ومعه أصحابه، فقعد في مجلسه، ثم صاح: يا ناطور، فقلت: هوذا أنا. فقال: اذهب فأتنا بأكبر رمان تقدر عليه وأطيبه.

فذهبت فأتيته بأكبر الرمان، فأخذ الخادم رمانة فكسرها، فوجدها حامضة.

فقال: يا ناطور، أنت في بستاننا منذ كذا وكذا، تأكل فاكهتنا، وتأكل رماننا، ولا تعرف الحلو من الحامض؟!

قال إبراهيم: قلت: والله ما أكلتُ من فاكهتك شيئًا، ولا أعرف الحلو من الحامض، فأشار الخادم إلى أصحابه، فقال: أما تسمعون كلام هذا؟

أتراك لو أنك إبراهيم بن أدهم ما زدت على هذا؟ فانصرف، فلما كان من الغد ذكر صفتي في المسجد، فعرفني بعض الناس، فجاء الخادم ومعه جماعة من الناس.

فلما رأيته قد أقبل مع الناس، اختفيت خلف الشجر والناس داخلون، فاختلطت معهم وهم داخلون وأنا خارج هارب، فهذا كان أوائل أمري وخروجي من طرسوس إلى بلاد الرمال[1].

❁❁❁

(٦٦) قصة العابد زاذان الكندي

روى عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه مَرَّ ذات يومٍ في موضع من نواحي الكوفة، فإذا فتيان فساق اجتمعوا يشربون، وفيهم مُغنّ يقال له: زاذان يضرب ويغني، وكان له صوت حسن.

فلما سمع ذلك عبد الله، قال: ما أحسن هذا الصوت لو كان بقراءة كتاب الله؟!

وجعل الرداء على رأسه ومضى، فسمع زاذان قوله، فقال: مَنْ كان هذا؟!

قالوا: عبد الله بن مسعود، صاحب رسول الله ﷺ .

قال: وأي شيءٍ قال؟

قالوا: إنه قال: ما أحسن هذا الصوت لو كان بقراءة كتاب الله تعالى.

فقام وضرب بالعود على الأرض فكسره، ثم أسرع فأدركه، وجعل المنديل في عنق نفسه،وجعل يبكي بين يدي عبد الله بن مسعود.

---

(١) كتاب التوابين (٢/١٦٤) لابن قدامة.

فاعتنقه عبد الله بن مسعود، وجعل يبكي كل واحد منهما، ثم قال عبد الله: كيف لا أحب من قد أحبه الله – عز وجل– فتاب إلى الله عز وجل من ذنوبه، ولازم عبد الله ابن مسعود حتى تعلم القرآن، وأخذ حظًّا من العلم حتى صار إمامًا في العلم(١).

❁❁❁

(٦٧) قصة توبة العابد مالك بن دينار

روى عن مالك بن دينار أنه سُئل عن سبب توبته؟ فقال: كنتُ شرطيًا، وكنت منهمكًا على شرب الخمر، ثم إنني اشتريت جارية نفيسة، ووقعت مني حسن موقع، فولدت لي بنتًا، فشغفت بها.

فلما دبت على الأرض ازدادت في قلبي حبًا، وألفتني وألفتها، قال: فكنت إذا وضعتُ المسكر بين يديّ جاءت إليّ وجاذبتني عليه، وأهرقته على ثوبي، فلما تمت لها سنتان ماتت، فأكمدني حزنها.

فلما كانت ليلة من شهر شعبان، وكانت ليلة الجمعة، بت ثملاً – سكرًا – من الخمر، ولم أصل فيها العشاء، فرأيت فيما يرى النائم كأن القيامة قد قامت، وقد نفخ في الصور، وبُعثرت القبور، وحُشر الخلائق وأنا معهم، فسمعت حسًّا من ورائي، فالتفت فإذا بتنِّين – نوعٌ من الحيات – أعظم ما يكون أسود أزرق قد فتح فاه مسرعًا نحوي، فمررت بين يديه هاربًا فزعًا مرعوبًا.

فمررت في طريقي بشيخٍ نقي الثوب، طيب الرائحة، فسلمت عليه فرد السلام،

فقلت: أيها الشيخ، أجرني من هذا التنين أجارك الله، فبكى الشيخ وقال لي: أنا ضعيف، وهذا أقوى مني وما أقدر عليه، ولكن مُرَّ وأسرع فلعل الله أن يتيح لك ما ينجيك منه.

فوليت هاربًا على وجهي، فصعدت على شُرُف من شرف القيامة، فأشرفت على طبقات النيران، فنظرتُ إلى هَوْلها، وكدت أهوى فيها من فزع التنين، فصاح بي صائح: ارجع فلست من أهلها، فاطمأننت إلى قوله ورجعت، ورجع التنين في طلبي.

---

(١) كتاب التوابين (ص/٢٠٧، ٢٠٨).

فأتيت الشيخ فقلت: يا شيخ، سألتك أن تجيرني من هذا التنين فلم تفعل، فبكى الشيخ، وقال:

أنا ضعيف، ولكن سر إلى هذا الجبل، فإن فيه ودائع المسلمين، فإن كان لك فيه وديعة فستنصرك.

قال: فنظرت إلى جبلٍ مستدير من فضة، وفيه فتحات وستور معلقة، على كل فتحة مصراعان من الذهب الأحمر، مفصلة باليواقيت، على كل مصراع ستر من الحرير، فلما نظرت إلى الجبل وليت إليه هاربًا، والتنين من ورائي حتى إذا قربت منه صاح بعض الملائكة: ارفعوا الستور، وافتحوا المصاريع وأشرفوا، فلعل لهذا البائس فيكم وديعة تجيره من عدوه، فإذا الستور قد رفعت، والمصاريع فد فتحت، فأشرف على أطفال بوجوه كالأقمار، وقرب التنين مني، فتحيرت في أمري،فصاح بعض الأطفال:

ويحكم ! أشرفوا كلكم فقد قرب منه عدوه، فأشرفوا فوجًا بعد فوجٍ، وإذا أنا بابنتي التي ماتت قد أشرفت معهم، فلما رأتني بكت وقالت:

أبي والله، ثم وثبت في كفة من نورٍ كرمية السهم حتى مَثَلَتْ بين يدي، فمدت يدها الشمال إلى يدي اليمنى، فتعلقت بها، ومدت يدها اليمنى إلى التنين فولّى هاربًا.

ثم أجلستني وقعدت في حجري، وضربت بيدها اليمنى إلى لحيتي، وقالت: يا أبتِ ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [1].

فبكيتُ وقلت: يا بُنية، وأنتم تعرفون القرآن؟

قالت: ذلك عملك السوء قوّيته فأراد أن يغرقك في نار جهنم.

قلت: فأخبريني عن الشيخ الذي مررت به في طريقي.

قالت: يا أبتِ، ذلك عملك الصالح أضعفته حتى لم يكن له طاقة بعملك السوء.

قلت: يا بنية، وما تصنعون في هذا الجبل؟

قالت: نحن أطفال المسلمين قد أسكنا فيه إلى أن تقوم الساعة ننتظركم، تقدمون علينا فنشفع لكم.

---

(١) سورة الحديد: ١٦.

قال مالك: فانتبهت فزعًا، وأصبحت فأرقتُ المُسْكر وكسَّرْتُ الآنية وتبت إلى الله -عز وجل- وهذا كان سبب توبتي[1].

❁❁❁

(٦٨) قصة توبة العابد الفضيل

عن رجلٍ من جيران الفضيل بن عياض، قال: كان الفضيل يقطع الطريق، فخرج ذات ليلة ليقطع الطريق، فإذا هو بقافلة قد انتهت إليه ليلاً، فقال بعضهم لبعضٍ:

اعدلوا بنا إلى هذه القرية، فإن أمامنا رجلاً يقطع الطريق، يُقال له: الفضيل.

قال: فسمع الفضيل فأرعد، فقال: يا قوم، أنا الفضيل جُوزوا، والله لأجتهدن أن لا أعصى الله أبدًا، فرجع عما كان عليه.

فأضافهم في تلك الليلة، وقال: أنتم آمنون من الفضيل، وخرج يرتاد لهم علفًا، فسمع قارئًا يقرأ قول الله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾[2].

قال: بلى والله قد آن، فكان هذا مبتدأ توبته[3].

قال إبراهيم بن الأشعث: سمعت فضيلاً ليلة، وهو يقرأ سورة محمد، ويبكي، ويردد هذه الآية ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴾[4].

وجعل يقول: ﴿ونبلوا أخباركم﴾ ويرددها، ويقول: إن بلوت أخبارنا فضحتنا، وهتكت أستارنا، إن بلوت أخبانا أهلكتنا وعذّبتنا.



(١) كتاب التوابين (ص/٢١٠) لابن قدامة.

(٢) سورة الحديد: ١٦.

(٣) وفيات الأعيان (٤/٤٧) لابن خلكان.

(٤) سورة محمد: ٣١.

(٦٩) قصة العابد بشر الحافي

عن محمد بن الدينوري قال:

سمعت بشر بن الحارث، وسُئل: ما كان بدء أمرك، لأن اسمك بين الناس كأنه اسم نبي؟!

قال: هذا من فضل الله، ما أقول لكم؟ كنت رجلاً عَيَّارًا – نشيطًا في المعاصي – صاحب عصبية، فجزت يومًا فإذا أنا بقرطاسٍ في الطريق، فرفعته فإذا فيه: ﴿**بسم الله الرحمن الرحيم**﴾ فمسحته، وجعلته في جيبي.

وكان عندي درهمان ما كنت أملك غيرهما، فذهبت إلى العطارين، فاشتريت بهما غالية – نوع من الطيب- ومسحته في القرطاس، فنمت تلك الليلة، فرأيت في المنام كأن قائلاً يقول: يا بشر بن الحارث رفعت اسمنا عن الطريق وطيّبته، لأطيبن اسمك في الدنيا والآخرة، ثم كان ما كان.

وحُكى أن بشرًا كان في زمن لهوه، في داره، وعنده رفقاؤه يشربون ويطيبون.

فاجتاز بهم رجل من الصالحين، فدق الباب، فخرجت إليه جارية، فقال: صاحب هذه الدار حر أم عبد؟ فقالت: بل حر.

فقال: صدقت، لو كان عبدًا لاستعمل أدب العبودية، وترك اللهو والطرب، فسمع بشر محاورتهما، فسارع إلى الباب حافيًا حاسرًا، وقد ولى الرجل، فقال للجارية: ويحك، من كلّمك على الباب؟ فأخبرته بما جرى. فقال: أي ناحية أخذ الرجل؟

فقالت: كذا، فتبعه بشر حتى لحقه، فقال له: يا سيدي، أنت الذي وقفت بالباب وخاطبت الجارية؟ قال: نعم.

قال: أعدْ عليَّ الكلام، فأعاده عليه، فمرغ بشر خديه على الأرض، وقال: بل عبدٌ، عبدٌ، ثم هام على وجهه حافيًا حاسرًا حتى عُرف بالحفاء[١].

وروى أصحاب السير والتراجم أنه تعلق رجلٌ بامرأةٍ من بنات الشام، فتعرض لها بيده سكين، لا يدنو منه أحد إلا جرحه، وكان الرجل شديد البدن.

---

(١) كتاب التوابين (ص/٢١٩).

فبينما الناس كذلك، والمرأة تصيح من يده، إذ مَرَّ بشر بن الحارث، فدنا منه وحك كتفه بكتف الرجل، فوقع الرجل إلى الأرض، ومضى بشرٌ، فدنوا من الرجل وهو يرشح عرقًا كثيرًا، ومضت المرأة بحالها.

فسألوه: ما حالك؟ فقال: ما أدري، ولكني حاكني الشيخ، وقال: إن الله ناظرٌ إليك، وإلى ما تعمل! فضعفت لقوله قدمى، وهبته هيبة شديدة، لا أدري من ذاك الرجل.

فقالوا له: بشر بن الحارث. فقال: واسوأتاه! كيف ينظر إلىَّ بعد اليوم؟!

وحُمّ الرجل من يومه، ومات في اليوم السابع[١].

❁❁❁

(٧٠) قصة العابد ضيغم مع رياح القيسي

عن مالك بن ضيغم قال جاء رياح القيس يسأل عن أبي بعد العصر فقلنا إنه نائم. فقال: أنوم هذه الساعة؟ أهذا وقت نوم؟! ثم ولى منصرفًا فأتبعناه رسولا فقلنا قل له ألا نوقظه لك؟ قال فأبطأ علينا الرسول ثم جاء وقد غربت الشمس، فقلنا أبطأت جدًا فهل قلت له قال: هو أشغل من أن يفهم عني شيئًا. أدركته وهو يدخل المقابر وهو يعاتب نفسه وهو يقول: أقلت أنوم هذه الساعة. أفكان هذا عليك. ينام الرجل متى يشاء. وقلت هذا وقت نوم. وما يدريك أن هذا ليس وقت نوم تسألين عما لا يعنيك وتكلمين بما لا يعنيك.

أما إن لله على عهدًا لا أنقضه أبدًا لا أوسدك الأرض لنوم حولاً إلا لمرض جاء بك أو لذهاب عقل زائل، سوأة لك أما تستحين لكم توبخين وعن غيك لا تنتهين. قال: وجعل يبكى وهو لا يشعر بمكاني فلما رأيت ذلك انصرفت وتركته[٢].

❁❁❁

(١) كتاب التوابين (ص/٢١٩).

(٢) الحلية (١٩٢/٦) من طريق أبي يعلى الموصلى عن محمد بن الحسين البرجلاني عن مالك. وانظر: صفة الصفوة (٣٦٨/٣).

(٧١) قصة بكاء عابد الجبل

روى ابن مسروق عن السرى قال:

بينما نحن نسير في بلاد الشام ملنا عن الطريق ناحية جبلٍ عليه عابد، فقال رجلٌ من القوم: إنا قد ملنا عن الطريق، وهاهنا عابد فميلوا بنا إليه نسأله، لعل الله عز وجل يوفقه يكلمنا.

فملنا إليه فوجدناه يبكي. قال سرى: فقلت له: ما أبكى العابد؟

قال: ما لي لا أبكي؟! وقد توعرت الطريق، وقلَّ السالكون فيها، وهُجرت الأعمال، وقلَّ الراغبون فيها وقَلَّ الحق، ودرس هذا الأمر، فلا أراه إلا في لسان كل بطَّال ينطق بالحكمة، ويفارق الأعمال، قد افترش الرحمة، وتمهد التأويل، واعتل بزلل العاصين، ثم صاح صيحة، وقال:

كيف سكنت قلوبهم إلى روح الدنيا، وانقطعت عن روح ملكوت السموات؟

ثم جعل يقول: واغماه من فتنة العلماء، واكرباه من حيرة الأدلاء.

وجال جولة، ثم قال: أين الأبرار من العلماء؟

بل أين الأخيار من الزهاد؟!

ثم بكى وقال: شغلهم ذكرُ طولِ الوقوف، يعني بين يدي الله يوم القيامة، وهمُّ الجواب عن ذكر الجنة والنار والثواب.

ثم قال: أنا أستغفر الله من شهوة الكلام، تنحوا عني، فخليناه يبكى[١].



(١) صفة الصفوة (٤/٣٥٩، ٣٦٠).

(٧٢) قصة العُبَّاد في مجلس هارون الرشيد

عن الفضل بن الربيع[١] قال: -

حج أميرُ المؤمنين[٢]، فأتاني، فخرجتُ مُسْرِعًا فقلت: يا أمير المؤمنين، لو أرسلتَ إليَّ أتيتُكَ.

فقال: ويحك، قد حَاكَ في نفسي شَيءٌ، فانظر لي رجلاً أسأله، فقلتُ: هاهنا سفيان ابن عيينة[٣].

فقال: امض بنا إليه، فأتيناه فقرعنا البابَ، فقال: مَنْ ذا؟ قلتُ: أجب أمير المؤمنين، فخرج مُسرعًا، فقال: يا أمير المؤمنين لو أرسلتَ إليَّ أتيتك.

فقال: خُذ لما جئناك له رحمك اللَّهُ، فحدثه ساعةً، ثم قال له: عليك دَينٌ؟

فقال: نعم.

قال: يا أبا العباس، اقْضِ دينه، فلما خرجنا قال: ما أغنى عني صاحبك شيئًا، انظر لي رجلاً أسأله.

قلت: هاهنا عبد الرزاق بن همام[٤]. قال: امض بنا إليه، فأتيناه فقرعنا الباب فخرج مسرعًا، فقال: من هذا؟ قلت: أجب أمير المؤمنين، فقال: يا أمير المؤمنين، لو أرسلت

---

(١) هو حاجب الرشيد، وكان صاحب سؤدد وحزم، وهو من موالى عثمان بن عفان ﷺ، مات سنة ٢٠٨هـ. انظر: تاريخ الطبري (٨/٥٩٩)، تاريخ بغداد (١٢/٣٤٣)، الكامل لابن الأثير (٦/٣٨٦)، وفيات الأعيان (٤/٣٧)، العبر (١/٣٥٥)، البداية والنهاية (١٠/٢٦٣)، شذرات الذهب (٢/٢٠).

(٢) الخليفة العباسي، كان من أنبل الخلفاء العباسيين، ذا حجٍ وجهاد، ورأى وشجاعة، وكان يحب العلماء، ويعظم حرمات الدين، افترى عليه الكثير، مات في سنة١٠٢هـ. انظر تاريخ الطبري (٨/٢٣٠)، تاريخ بغداد (١٤/٥)، الكامل لابن الأثير (٦/١٠٦)، العبر (١/٣١٢)، تاريخ الخلفاء (ص/٢٨٣)، شذرات الذهب (١/٣٣٤).

(٣) أبو محمد الهلالي، ثقةٌ، حجةٌ، حافظٌ فقيهٌ، حديثه في الكتب الستة، مات في سنة ١٩٨هـ. انظر: طبقات ابن سعد (٥/٣٦٤)، تاريخ بغداد (٩/١٧٤)، تذكرة الحفاظ (١/٢٦٢)، الحلية (٧/٢٧٠)، شذرات الذهب (١/٣٥٤).

(٤) الصنعاني، ثقةٌ، حافظٌ، مصنفٌ، حديثه في الكتب الستة، مات سنة ٢١١هـ. انظر: تذكرة الحفاظ (١/٣٦٤)، البداية والنهاية (١٠/٢٦٥)، الميزان (٢/٦٠٩)، التهذيب (٦/٣١٠)، التقريب (١/٥٠٥).

إلى أتيتك، فقال: خذ لما جئناك له، فحادثه ساعةً، ثم قال له: عليك دين؟ قال: نعم. قال: يا أبا العباس، اقض دينه.

فلما خرجنا قال: ما أغنى عنى صاحبك شيئًا، انظر لي رجلاً أسأله.

قلت: هاهنا الفضيل بن عياض[١]؟

قال: امض بنا إليه، فأتيناه فإذا هو قائم يصلي يتلو آيةً من القرآن يرددها، فقال: اقرع الباب، فقرعتُ البابَ فقال: من هذا؟ قلتُ: أجب أمير المؤمنين.

فقال: ما لى ولأمير المؤمنين!

فقلت: سُبحان الله، أما عليك طاعة؟!

فنزل، ففتح الباب، ثم ارتقى[٢] إلى الغرفة فأطفأ السراج، ثم التجأ إلى زاويةٍ من زوايا البيت، فدخلنا فجعلنا نجول بأيدينا، فسبقتْ كَفُّ هارون قبلى إليه، فقال: يا لها من كفٍّ، ما ألينها إن نجت غدًا من عذابِ اللَّهِ -عز وجل-.

فقلتُ في نفسي: ليكلمنه الليلة بكلامٍ نقى من قلبٍ تقى.

فقال له: خُذ لما جئناك له رحمك الله، فقال:

إن عمر بن عبد العزيز[٣] لما ولى الخلافة دعا سالم بن عبد الله[٤]، ومحمد بن كعب

---

(١) الإمام القدوة، الثبت الثقة، شيخ الإسلام، مجاور الحرم، حديثه عند أصحاب الأصول الستة ما عدا ابن ماجه، مات سنة ١٨٧هـ. انظر: التاريخ الكبير (١٢٣/٧)، الحلية (٨٤/٨)، وفيات الأعيان (٤/ ٤٧)، التذكرة (٢٤٥/١)، العبر (٢٩٨/١)، التهذيب (٢٩٤/٨)، شذرات الذهب (٣٦٠/١).

(٢) **ارتقى**: صعد.

(٣) أبو حفص، خامس الخلفاء الراشدين، شهرته بلغت الآفاق، ومناقبه عديدة، وأخباره كثيرة، مات سنة ١٠١هـ. انظر: طبقات ابن سعد (٢٤٢/٥)، الحلية (٢٥٣/٥)، صفة الصفوة (١١٣/٢)، العبر (١٢٠/١)، التذكرة (١١٨/١)، التهذيب (٤٧٥/٧)، تاريخ الخلفاء (ص/٢٢٨).

(٤) ابن عمر العدوى، أحد فقهاء أهل المدينة السبعة، ثقة، حديثه في الكتب الستة، مات سنة ١٠٦هـ. انظر: طبقات ابن سعد (١٤٤/٥)، الحلية (١٩٣/٢)، تذكرة الحفاظ (٨٨/١)، التهذيب (٤٣٦/٣)، شذرات الذهب (١٣٣/١).

القرظى[١] ورجاء بن حيوة[٢] فقال لهم: إني قد ابتليتُ بهذا البلاء فأشيروا عليَّ، فعد الخلافة بلاء، وعددتها أنت وأصحابك نعمةً.

فقال له سالم بن عبد الله: إن أردتَ النجاة من عذابِ اللَّهِ، فصُمْ الدُنْيَا، وليكن إفطارك منها الموت.

وقال له محمد بن كعب: إن أردت النجاة من عذاب الله، فليكن كبير المؤمنين عندك أبًا، وأوسطهم عندك أخًا، وأصغرهم عندك ولدًا، فوقر أباك، وأكرم أخاك، وتحنن على ولدك.

وقال له رجاء بن حيوة: إن أردت النجاة غدًا من عذاب الله، فأحب للمُسْلمينَ ما تحب لنفسك، واكره لهم ما تكره لنفسك، ثم مِت إذا شئتَ، وإني أقول لكَ، وإني أخاف عليك أشد الخوف يومًا تزل فيه الأقدامُ، فهل معك رحمك الله مثل هذا؟ أو من يشير عليك بمثل هذا؟!

فبكى هارون بُكاءً شديدًا حتى غُشى عليه، فقلت له: ارفْق بأمير المؤمنين.

فقال: يا ابن الربيع، تقتله أنت وأصحابك وأرفق به أنا.

ثم أفاق فقال له: زدني رحمك الله.

فقال: يا أمير المؤمنين، بلغني أن عاملاً لعمر بن عبد العزيز شكى إليه، فكتب إليه عمر: يا أخي، أذكرك طول سهر أهل النَّارِ مع خُلودِ الأبدِ، وإياك أن ينصرف بك من عند الله، فيكون آخر العهد، وانقطاع الرجاء.

قال:فلما قرأ الكتاب طوى البلاد حتى قدم على عمر بن عبد العزيز، فقال له: ما أقدمك؟ قال: خلعت قلبي بكتابك، لا أعود إلى ولاية حتى ألقى الله -عز وجل-.

قال: فبكى هارون بكاء شديدًا، ثم قال له: زدني رحمك الله؟

---

(١) أحد التابعين الثقات، عالمٌ جليلٌ، فقيهٌ ثبتٌ، حديثه في الكتب الستة، مات سنة ١٢٠هـ. انظر: الجرح والتعديل (٦٧/٨)، الحلية (٢١٢/٣)، البداية والنهاية (٢٥٧/٩)، التهذيب (٤٢٠/٩)، السير (٦٥/٥)، شذرات الذهب (١٣٦/١).

(٢) أبو المقدام الفلسطيني، ثقةٌ، فقيهٌ، حديثه في الكتب الستة، ما عدا البخاري مات سنة ١١٢هـ: انظر: الجرح والتعديل (٣٠٩/٣)، الحلية (١٧٠/٥)، التهذيب (٢٦٥/٣)، التقريب (٢٤٨/١).

فقال: يا أمير المؤمنين، إن العباس عم المصطفى ﷺ جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أمرني على إمارة، قال له النبي ﷺ:-

((**إن الإمارة حسرة وندامة يوم القيامة**))[1] فإن استطعت أن لا تكون أميرا فافعل فبكى هارون بكاء شديدا، وقال له: زدني رحمك الله.

قال: يا حسن الوجه، أنت الذي يسألك الله تعالى عن هذا الخلق يوم القيامة، فإن استطعت أن تقى هذا الوجه من النار، فإياك أن تصبح وتمسى، وفي قلبك غش لأحد من رعيتك، فإن النبي ﷺ قال:

((**مَنْ أصبح لَهم غاشًا لَمْ يرح رائحة الجَنَّةِ**))[2].

فبكى هارون، وقال له: عليك دين؟

قال: نعم، دين لربي لم يحاسبني عليه، فالويل لي إن سألني، والويل لي إن ناقشني، والويل لي إن لم ألهم حجتي.

قال: إنما أعني من دين العباد؟ قال: إن ربي لم يأمرني بهذا، إنما أمرني أن أصدق وعده، وأطيع أمره، فقال جل وعز:- ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝ ﴾[3].

فقال له: هذه ألف دينار خذها فأنفقها على عيالك وتقوّ بها على عبادتك.

فقال: سبحان الله، أنا أدلك على طريق النجاة، وأنت تكافئني بمثل هذا؟!

سلمك الله ووفقك، ثم صمت فلم يكلمنا، فخرجنا من عنده، فلما صرنا على الباب، قال هارون: إذا دللتني على رجل فدلني على مثل هذا، هذا سيد المسلمين[4].

---

(١) **حديث ضعيف**: أخرجه أبو نعيم (١٠٧/٨) في الحلية مرسلاً، وبلفظ بمعناه أخرجه ابن سعد (٢٧/٤) في طبقاته مرسلاً عن ابن المنكدر، والضحاك بن حمزة، وفي الباب بنحوه لكن من حديث أبي ذر أخرجه مسلم (١٨٢٥)، ومن حديث أبي هريرة أخرجه البخاري (١١١/١٣)، وأحمد (٤٧٦/٢).

(٢) **حديث صحيح**: أخرجه البخاري (٧١٥٠فتح)، ومسلم (١٤٢)، وأحمد (٢٥/٥).

(٣) سورة الذاريات: ٥٦-٥٨.

(٤) حلية الأولياء (١٠٥/٨-١٠٧) لأبي نُعيم، وصفة الصفوة (٢٤٢/٢-٢٤٦) لابن الجوزى، تاريخ بغداد (٨/١٤) للخطيب البغدادي إشارة مختصرة للأثر، أحاسن المحاسن (ص/١٩٨، ١٩٩) لأبي إسحاق الحنبلي، والذهبي (٤٢٨/٨-٤٣١) في سير أعلام النبلاء.

(٧٣) قصة شيبان العابد مع هارون الرشيد

يروى أصحاب السير والتراجم أن الرشيد قال لشيبان[١]: غظني؟

قال شيبان: لأن تصحب من يُخوِّفك حتى يدركك الأمن خَيْرٌ لك من أن تَصْحَب من يُؤْمنَك حتى يدركك الخوفُ.

فقال الرشيد: فَسِّرْ لي هذا.

قال: مَنْ يقولُ لكَ، أنت مسئولٌ عن الرعية، فاتق اللَّهَ أنصح لك ممن يقول: أنتم أهلُ بيتٍ مغفور لكم، وأنتم قرابة نبيكم ﷺ.

فبكى الرشيد حتى رحمه مَنْ حوله[٢].

❁❁❁

(٧٤) قصة العابد الذي لا يسأل إلا ربه

روى أن سالم بن عبد الله بن عمر العدوي -رحمه الله- دخل على هشام بن عبد الملك الخليفة الأموى، وهو في المسجد، فقال له: يا سالم، سلني حاجتك؟

فقال سالم: إني لأستحي من الله أن أسأل في بيته غيره، فلما خرج سالم خرج هشام في أثره، فقال له: ها أنت قد خرجت من المسجد، فسلني حاجة؟!

فقال له سالم: يا أمير المؤمنين، أسألك من حوائج الدنيا، أم من حوائج الآخرة؟

فقال له: لا يا أخي، بل من حوائج الدنيا.

فقال سالم: أنا ما سألت الدنيا من يملكها، فكيف أسأل من لا يملكها؟![٣]

❁❁❁

(١) أحد الزُهاد العُبَّاد، عاش في عصر الثورى، وردت بعض الكرامات له في ترجمته، انظر: حلية الأولياء (٨/٣١٧)، صفة الصفوة (٤/٣٧٦، ٣٧٧)، أحاسن المحاسن (ص/٤٥١).

(٢) صفة الصفوة (٤/٣٧٦)، تاريخ الخلفاء (ص/٤٦٧) للسيوطي.

(٣) تاريخ دمشق (٧/١٦ب) ، صفة الصفوة (٢/٩١).

(٧٥) قصة العابد المبصر الأعمى

روى أن يونس بن يوسف –رحمه الله– لقى امرأةً فوقع نظره عليها فتألم من ذلك، وقال: اللهم إنك جعلت بصرى، نعمة منك عليَّ، وإني أخاف أن يكون نقمة عليَّ فاقبضه إليك، فأعماه الله عز وجل.

وكان إذا ذهب إلى المسجد أخذ معه ابن أخيه بيده، وكان صغيرًا فيوصله إلى المسجد، ثم يذهب فيلعب مع الصبيان، فإذا عرضت للشيخ حاجة دعاه، فيجيء إليه، ويقضى حاجته.

فبينما هو ذات يومٍ في المسجد، إذ أحس بشيءٍ يدب حوله، فخاف الشيخ منه، ودعا الصبي، وكان قد تلهى مع الصبيان فلم يجبه، فرفع طرفه إلى السماء، وقال: إلهي، وسيدي، ومولاى، قد كنت أعطيتني بصرًا أنظر به نعمة منك عليَّ فخشيت أن يكون نقمة عليَّ، فسألتك أن تقبضه فقبضته، وقد خشيت الفضيحة فرده عليَّ فردَّ الله عليه بصره، وانصرف إلى منزله بصيرًا.

قال مالك بن أنس رحمه الله: رأيته أعمى، ورأيته صحيحًا[1].



(٧٦) قصة من عجائب العابد الحَمَّال

روى عن بُنَانِ الحَمَّال –رحمه الله– أنه كان يأمر ابن طولون بالمعروف، وينهاه عن المنكر، فرماه يومًا بين يدي سبعٍ، فجعل يشمه ولا يضره، فقام من بين يدي السبع، فقيل له: أين كان قلبك حين شمك السبع؟

قال: كنت أتفكر في سؤر – بقية الماء أوالوضوء – السباع ولعابها[2]!

وكان على زمان بنان الحمال رجلٌ له على رجلٍ مائة دينار بوثيقةٍ، إلى أجلٍ، فلما

---

(١) ذم الهوى (ص/١١٣) لابن الجوزي، تهذيب الكمال (١٥٧٢)، التهذيب (٤٥٣/١١).
(٢) حلية الأولياء (٣٢٤/١٠)، تاريخ بغداد (١٠١/٧)، سير أعلام النبلاء (٤٨٩/١٤).

حل الأجل طلب الوثيقة فلم يجدها، فذهب إلى بنان، وقال له: ادع الله أن يرد إليَّ وثيقتي التي بمائة دينار، فقال بنان: يا هذا، أنا رجلٌ كبيرٌ، فحليني بشيءٍ من الحلاوة، حتى أدعو لك فاشترى له قرطاس حلاوة، وجاء به إليه.

فقال له بنان: افتح القرطاس ففتحه، فإذا هو بالوثيقة في وسط القرطاس، فقال له بنان: خذ وثيقتك فردها الله عليك، وخذ حلاوتك، وأطعمها لصبيانك(١).



(٧٧) قصة جمادى العابد البغدادي

روى عن جمادى البغدادي،أنه طلع في يد طلوع – كالورم – وكبرت وانتفخت، فاجتمع الأطباء على قطعها، وأنه لا ينفعه غير ذلك.

قال: فبت تلك الليلة على سطح المسجد، وأنا في ألمٍ عظيم من يدي، فرفعت بصرى إلى السماء، وقلت: اللهم إني أسألك يا صاحب هذا الملك، الذي لا يقدر عليه أحد سواك أن تتصدق عليَّ بعافية يدي.

قال: ثم نمت فرأيت رسول الله ﷺ في المنام، فقلت له: يا رسول الله، انظر إلى يدي هذه، فقد مسني الضر بسببها، فقال لي رسول الله ﷺ: ((**امدد يدك**)) فمددتها، فأمرَّ بيده الشريفة عليها، فعادت أحسن ما كانت، ثم قال لي رسول الله ﷺ: ((**قم**)) فقمت فانتبهت، فوجدت يدي صحيحة سليمة، كأن لم يكن بها ألم قط، ففرحت بذلك، ومضيت بالليل إلى بعض أصحابي، فطرقت عليه الباب، فقالت المرأة لزوجها: أظن أن فلانًا قد مات من ألم يده، وكانت ظنت أني قد مت، وأن مخبرًا قد جاءهم بخبر موتى، فلما رأتني في عافية تعجبت من ذلك، وقالت: سبحان من يحيى العظام وهى رميم.

ثم إني لما رجعت من عندهم، وجدت عند بابى خلقًا عظيمًا لا يحصى عددهم إلا الله تعالى، ومعهم أباريق، وجرار، فقلت لواحدٍ منهم:

ما لهؤلاء الناس في هذا المكان؟

فقال لي: يا شيخ بلغ للناس أن رجلاً من الصالحين رأى النبي ﷺ في المنام، وهو

---

(١) تاريخ بغداد (٧/١٠٢).

يتوضأ من البئر التي في هذا المسجد، فجاء كل واحد يطلب لنفسه نصيبه من هذا البئر، ويستوعب الدعاء من الشيخ الذي في المسجد فلما سمعت كلامه، قلت في نفسي: إن عرفتهم أنه أنا يتقلبون ويدسوني فأموت بينهم، وإن سلمت من زحمتهم فما يهنأ لي عيش بينهم.

فخرجت من بين الناس، وبقيت أختفى طوال نهاري في الخرابات[1].

❁❁❁

(٧٨) قصة العابد ابن خثيم في القبور

روى عن الربيع بن خثيم –رحمه الله– أنه كان إذا جن الليل خرج إلى المقابر، وبكى، وقال: يا أهل المقابر، كنا وكنتم، فأنتم السابقون، ونحن اللاحقون، رحم الله غربتكم، وآنس الله وحشتكم،، تقبل الله منكم الحسنات، وتجاوز عنكم السيئات.

فكانت أمه تقول له: يا ربيع، أراك تبكى كثيرًا، أأنت قتلت قتيلاً؟!

فيقول: نعم يا أماه، قتلت نفسي بكثرة الذنوب[2].

❁❁❁

(٧٩) قصة العابد الخفى عمرو بن قيس

روى عن عمرو بن قيس –رحمه الله– أنه أقام عشرين سنة يصوم، ولم يُعلم أهله.

يقول سفيان الثورى: كنت أطلبه في السوق، فإذا لم أجده في السوق وجدته في البيت واقفًا يصلى، أو يقرأ، فإذا لم أجده في بيته، وجدته في مسجدٍ من مساجد الكوفة في زاوية جالسًا يبكى.

فلما مات أغلق أهل الكوفة دكاكينهم، وخرجوا خلف تابوته إلى المقابر، فخرج رجلٌ فصلى عليه فسمعوا صائحًا يصيح: قد جاء المحسن، قد جاء المحسن.

---

(١) سلوة الأحزان (ص/٧٨) لابن الجوزي.

(٢) زوائد الزهد لأحمد (ص/٤٠٩)، سلوة الأحزان (ص/٨٣) لابن الجوزي.

فإذا البرية مملوءة طيورًا بيضاء لم ير أحسن من تلك الطيور، فبقى الناس متعجبين من حسنها، وإذا بمنادٍ ينادى: هذه ملائكة السميع العليم جاءت تبشر أنه من أهل النعيم[١].

❀❀❀

(٨٠) قصة العابد الطوسى

روى عن محمد بن أسلم الطوسى -رحمه الله- أنه قال:

ما لى ولهذا الخلق، أنا خلقنى الله تعالى في صلب أبى وحدى، ثم صرت في بطن أمى وحدى، ثم أدخل قبرى وحدى، ثم يسألنى وحدى، ثم يوضع في الميزان عملى وحدى، وإن بعثت إلى الجنة بعثت وحدى، وإن بعثت إلى النار بعثت وحدى، فمالي وللناس، والله للعبد من الناس أكبر الغنائم.

وكان إذا تطوع اجتهد أن لا يعلم أحدٌ بحاله، وكان يقول: لو قدرت أن أتطوع في محلٍ لا يراني فيه الموكلان بي لفعلت.

وكان لا يدخر إلا قوت يومٍ بيومٍ[٢].

❀❀❀

(٨١) قصة العابد وأكفان الجنة

قال مخلد بن الحسين: خرجت أنا وعتبة الغلام، ويحيى الواسطى ومشمرخ الضبي، فنزلنا المصيصة في الحصن، فرأيت في المنام كأن ملكًا نزل من السماء ومعه ثلاثة أكفان من أكفان الجنة، فألبس عتبة كفنًا، ويحيى كفنًا، ورجلاً آخر كفنًا.

قال: فلما أصبحت دعوتهم لأحدثهم بالرؤيا، فقال لي عتبة: لا تذكر يا أبا محمد الرؤيا.

---

(١) حلية الأولياء (٥/١٠١)، صفة الصفوة (٣/١٢٥)، سير أعلام النبلاء (٦/٢٥٠).

(٢) الحلية (٩/٢٤٣)، صفة الصفوة (٤/١٢٧،١٢٦)، أحاسن المحاسن (ص/٣٩٦).

قال: فمكثت أشهرًا، فإني لنائم على سرير ليلة، فإذا إنسان يحركني، فرفعت رأسي فإذا عتبة، فقلت له: ما حاجتك؟ فقال لي: اجلس قُص عليَّ الرؤيا.

قال: فجلست فحدثته فرفع يده، وقال شيئًا لا أدرى ما هو، ثم قام ووضعت رأسى فانتبهت فإذا صاحب التنور قد نور، قال: فأسرجت دابتي، وجئت فإذا بعتبة جالس على الباب بيده عنان فرسه.

قال: وقال عتبة لما ورد حلب: اشتروا لي فرسًا يغيظ المشركين إذا رأوه، قال: فوقفنا حتى إذا جاء الوالى ففتح الباب فخرج، وكان مشمرخ راجلاً، فإذا إنسان معه فرسى على الباب ينادى يا ثور.

قال: نعم! قال: فأخذ مشمرخ الفرس فركبه، قال: ومضينا حتى انتهينا إلى بلدة أدنة، فإذا آثار عدو، قال: فقال لي الوالى: من يجيئنا بخبر هؤلاء؟

قال: فقال عتبة: أنا، فخرج في أناسٍ من أصحابه يتبع الأثر، فخرج عليهم العدو فقتلوا جميعًا إلا رجلاً أفلت رجع إلينا، قال: ومضينا، قال: فأول ما رأيت بياض جسد عتبة، وقد قُتل وسُلب.

قال: فإذا بصدره ست طعنات — أو سبع طعنات — وإذا يده على فرجه. قال: فدفنته قال مخلد: فرأيته شابًا جاءنا بعد عتبة لسنة قُتل، في المنام، قال: قلت: ما صنع الله بك؟

قال: ألحقنى بالشهداء المرزوقين.

قال: **قلت**: أخبرني عن عتبة وأصحابه ألك بهم علم؟

قال: قتلى قرية الحباب؟ قال: قلت: نعم.

قال: إنهم معروفون في ملكوت السموات[1].



(١) الحلية (٦/٢٢٤).

(٨٢) قصة العُبَّاد الأربعة في البيت

عن حماد بن زيد -رحمه الله-، قال: اجتمع أيوب السختياني، ويونس بن عبيد، وابن عون، وثابت البناني في بيتٍ، فقال ثابت: يا هؤلاء، كيف يكون العبد إذا دعا الله فاستجاب له دعاءه؟

قال ابن عون: يكون البلاء في نفسه.

قال ثابت: فإنه يعرضه للعُجب بما صنع الله به.

فقال يونس بن عبيد: لا يكون العبد يُعجب بصنع الله به إلا وهو مستدرج.

فقال أيوب: وما علامة المستدرج؟ قال: إن العبد إذا كانت له عند الله منزلة فحفظها، وأبقى عليها، ثم شكر الله أعطاه الله أشرف من المنزلة الأولى، وإذا هو ضيع الشكر استدرجه الله، وكان تضييعه للشكر استدراجًا من الله له، وإن العبد المستدرج يكون له فيما بينه وبين الله تيسير وحبس، فعليه ينكر العُجب عن معرفة الاستدراج، وإن العبد المستدرج إذا ألقى في قلبه شيء من الشكر حمله شكره على التفقد من أين أُتي.

فإذا عرف ذلك خضع، وإذا خضع أقال عثرته.

قال حماد: إن ابن عمر -رضي الله عنهما- سُئل عن الاستدراج، فقال: ذلك مكره بالعباد المضيعين. قال: فبكوا جميعًا، ثم رفع أيوب السختياني يده من بينهم، وقال: يا عالم الغيب والشهادة لا توفيق لنا إن لم توفقنا، ولا قوة لنا إن لم تقونا.

فقال يونس بن عبيد: به وجدنا طعم القوة من دعائك يا أبا بكر.

قال: وكان أيوب يعرفه أصحابه أن له دعوة مستجابة[1].



(١) الحلية (٦/٢٥٩).

(٨٣) قصة العابد الباكي دمًا

عن أبي إسماعيل الموصلي قال:

دخلت على فتح الموصلي، فرأيته وقد مدّ كفيه يبكي، حتى رأيت الدموع تنحدر من بين أصابعه، فدنوت منه لأنظر إليه، فإذا دموعه قد خالطها صفرة! فقلت: و لم بالله يا فتح بكيت الدم؟

فقال: لولا أنك حلفتني بالله ما أخبرتك. نعم بكيت دمًا.

فقلت له: على ماذا بكيت الدموع؟ فقال: بكيت الدموع على تخلفي عن واجب حق الله تعالى، وبكيت الدم على الدموع، لئلا يكون ما صحت لي الدموع[١].

قال: فرأيته في المنام بعد موته، فقلت: ما صنع الله بك؟ فقال: غفر لي.

فقلت له: فماذا صنع في دموعك؟ فقال: قربني ربي -عز وجل-، وقال لي: يا فتح الدمع على ماذا؟ قلت: يا رب على تخلفي عن واجب حقك.

قال: والدم على ماذا؟

قلت: على دموعي أن لا تصح لي.

فقال: يا فتح ما أردت بهذا كله، وعزتي وجلالي لقد صعد حافظاك أربعين سنة بصحيفتك ما فيها خطيئة قط.



(٨٤) قصة العابد والثلاثة أخلاء

عن عبيد بن عمير -رحمه الله-، قال:

كان لرجل ثلاثة أخلاء، بعضهم أخص به من بعضٍ، فنزلت به نازلة، فلقى أخص الثلاثة به، فقال:

يا فلان، إنه قد نزل بي كذا وكذا، وإني أحب أن تعينني؟ قال: ما أنا بالذي أفعل،

---

(١) إتحاف السادة (١٣/٢٣٦) للزبيدي.

فانطلق إلى الذي يليه في الخاصة، فقال:

يا فلان، إنه قد نزل بي كذا وكذا، فأنا أحب أن تعينني؟ فقال: أنطلق معك حتى تبلغ المكان الذي تريد، فإذا بلغت رجعت وتركتك، فانطلق إلى أخص الثلاثة، فقال:

يا فلان، إنه قد نزل بي كذا وكذا، فأنا أحب أن تعينني؟ قال: أنا أذهب معك حيثما ذهبت، وأدخل معك حيثما دخلت.

قال: فأما الأول فماله خلفه في أهله، فلم يتبعه منه شيء، والثاني أهله وعشيرته ذهبوا به إلى قبره، ثم رجعوا وتركوه، والثالث عمله هو حيثما ذهب، ويدخل معه حيث ما دخل[١].

❁❁❁

(٨٥) قصة زاهد يزوج ابنته

عن ابن أبي وداعة قال: كنت أجالس سعيد بن المسيب ففقدني أيامًا، فلما جئته قال: أين كنت؟ قال: توفيت أهلي فاشتغلت بها.

فقال: ألا أخبرتنا فشهدناها؟ قال: ثم أردت أن أقوم، فقال: هل استحدثت امرأة ؟ فقلت: يرحمك الله، ومن يزوجني، وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة؟!

فقال: أنا ، فقلت: أوتفعل؟ قال: نعم، ثم حمد الله تعالى، وصلى على النبي ﷺ، وزوجني على درهمين، قال: فقمت وما أدري ما أصنع من الفرح، فصرت إلى منزلي وجعلت أتفكر ممن آخذ، وممن أستدين، فصليت المغرب وانصرفت إلى منزلي، واسترحت وكنت وحدي صائمًا، فقدمت عشائي أفطر، كان خبزًا وزيتًا، فإذا بآتٍ يقرع، فقلت: من هذا؟ قال: سعيد.

قال: ففكرت في كل إنسان اسمه سعيد إلا سعيد بن المسيب، فإنه لم يُر أربعين سنة إلا بين بيته والمسجد، فقمت فخرجت فإذا سعيد بن المسيب، فظننت أنه قد بدا له، فقلت: يا أبا محمد، ألا أرسلت إليَّ فآتيك.

قال: لأنت أحق أن تؤتى. قال: قلت: فما تأمر؟ قال: إنك كنت رجلاً عزبًا

---

(١) المصنف (٢٢٩/٨) لابن أبي شيبة.

فتزوجت فكرهت أن تبيت الليلة وحدك، وهذه امرأتك، فإذا هي قائمة من خلفه في طوله، ثم أخذها بيدها فدفعها بالباب ورد الباب فسقطت المرأة من الحياء، فاستوثقت من الباب، ثم تقدمتُ إلى القصعة التي فيها الزيت والخبز فوضعتها في ظل السراج لكي لا تراه، ثم صعدت إلى السطح فرميت الجيران فجاؤوني فقالوا: ما شأنك؟ قلت: ويحكم زوجني سعيد بن المسيب ابنته اليوم، وقد جاء بها على غفلة.

فقالوا: سعيد والمسيب زوّجك؟!

قلت: نعم، وهاهي في الدار.

قال: فنزلوا هم إليها، وبلغ أمي فجاءت، وقالت: وجهي من وجهك حرام إن مسستها قبل أن أصلحها إلى ثلاثة أيام.

قال: فأقمت ثلاثة أيام، ثم دخلت بها، فإذا هي من أجمل الناس، وإذا هي أحفظ الناس لكتاب الله، وأعلمهم بسنة رسول الله ﷺ، وأعرفهم بحق الزوج.

قال: فمكثت شهرًا لا يأتيني سعيد، ولا آتيه، فلما كان قرب الشهر أتيت سعيدًا وهو في حلقته، فسلمت عليه، فرد عليَّ السلام و لم يكلمني حتى تقوض أهل المجلس فلم يبق غيرى.

قال: ما حال ذلك الإنسان؟

قلت: خيرًا يا أبا محمد على ما يحب الصديق، ويكره العدو.

قال: إن رابك شيء فالعصا، فانصرفت إلى منزلى فوجه إليَّ بعشرين ألف درهم.

قال عبد الله بن سليمان: وكانت بنت سعيد بن المسيب قد خطبها عبد الملك بن مروان لابنه الوليد بن عبد الملك حين ولاه العهد، فأبى سعيد أن يزوجه(١).



(١) حلية الأولياء (٢/١٦٧-١٦٨).

(٨٦) قصة زاهد مع الدنيا

قال العلاء بن زياد -رحمه الله- :

رأيت الناس في النوم يتبعون شيئًا فتبعته، فإذا عجوز كبيرة هتماء، عوراء ، عليها من كل حلية وزينة.

فقلت: من أنت؟ قالت: أنا الدنيا. قلت: أسأل الله تعالى أن يبغضك إليَّ.

قالت: نعم، إن أبغضت الدراهم(١).

❁❁❁

(٨٧) قصة زاهد في الدنيا راغب في الآخرة

عن حميد بن هلال قال: كان منا رجل يقال له: الأسود بنِ كلثوم، وكان إذا مشى لا يجاوز بصره قدميه، فكان يمر بالنسوة، وفي الجدر يومئذ قُصر، ولعل إحداهن أن تكون واضعة ثوبها أو خمارها، فإذا رأينه راعهن، ثم يقلن كلا! إنه الأسود بن كلثوم.

فلما قدم غازيًا، قال: اللهم إن نفسي هذه تزعم في الرخاء أنها تحب لقاءك، فإن كانت صادقة فارزقها ذلك، وإن كانت كاذبة فاحملها عليه وإن كرهت، فأطعم لحمي سباعًا وطيرًا.

فانطلق في خيلٍ فدخلوا حائطًا فنزل بهم العدو، فجاءوا فأخذوا بثلمة -فتحة- في الحائط فنزل الأسودُ عن فرسه فضربها حتى غارت، فخرج فأتى الماء فتوضأ، ثم صلى ثم تقدم، فقاتل حتى قُتل.

قال: فمر عظم الجيش بعد ذلك بذلك الحائط، فقيل لأخيه: لو دخلت فنظرت ما بقى من عظام أخيك ولحمه؟

قال: لا، دعا أخي بدعوات فاستجيبت له، فلست أعرض عن شيءٍ من ذلك(٢).

---

(١) الحلية (٢/٢٤٤).

(٢) الحلية: (٢/٢٥٥،٢٥٤).

(٨٨) قصة العابد الذي يعلم متى يذكره ربه؟

قال ثابت البناني رحمه الله:

عن رجلٍ من العُبَّاد قال يومًا لإخوانه: إني لأعلم حين يذكرني ربي.

قال: ففزعوا من ذلك، فقالوا: تعلم حين يذكرك ربك؟!

قال: نعم.

قالوا: ومتى؟

قال: إذا ذكرته ذكرني.

قال: وإني لأعلم حين يستجيب لي ربي.

قال: فعجبوا من قوله، فقالوا: تعلم حين يستجيب لك ربك -عز وجل-؟!

قال: نعم.

قالوا: وكيف تعلم ذلك؟

قال: إذا وجل قلبي، واقشعر جلدي، وفاضت عيناي، وفُتح لي في الدعاء، فثم أعلم أن قد استجيب لي.

قال: فسكتوا[(١)].



(٨٩) قصة عمل العابد في داره

قال المغيرة بن حبيب أبو صالح ختن مالك بن دينار:

يموت مالك بن دينار وأنا معه في الدار، لا أدري ما عمله؟

قال: فصليت معه العشاء الآخرة، ثم جئت فلبست قطيفة، في أطول ما يكون الليل.

قال: وجاء مالك فقربه رغيفه فأكل، ثم قام إلى الصلاة فاستفتح، فلما انتهى أخذ

---

(١) السابق (٢/٣٢٤).

بلحيته فجعل يقول: إذا جمعت الأولين والآخرين فحرم شيبة مالك بن دينار على النار.

فوالله ما زال كذلك حتى غلبتني عيني، ثم انتبهت فإذا هو على تلك الحال، يقدم رجلاً، ويؤخر رجلاً، ويقول: يا رب إذا جمعت الأولين والآخرين فحرم شيبة مالك بن دينار على النار.

فما زال كذلك حتى طلع الفجر، فقلت في نفسي: والله لئن خرج مالك بن دينار فرآني لا يبل لي عنده بالة أبدًا.

قال: فجئت إلى المنزل وتركته(١).



(٩٠) قصة العابد الخائف من الرياء

قال رجلٌ: أتينا علي بن بكار، فقلنا له: حذيفة المرعشي يقرأ عليك السلام.

فقال: عليكم وعليه السلام، إني لأعرفه يأكل الحلال منذ ثلاثين سنة، ولأن ألقى الشيطان عيانًا أحب إليَّ من أن يلقاني وألقاه.

قلت له في ذلك، فقال: أخاف أن أتصنع له، فأتزين لغير الله، فأسقط من عين الله(٢).



(٩٠) قصة العابد ومستودع الأمانة

روى عبد الرحمن بن زيد، فقال:

قال محمد بن المنكدر –رحمه الله–: استودعني رجل مائة دينار، فقلت له: أي أخي إن احتجنا إليها أنفقناها حتى نقضيك.

قال: نعم، واحتجنا إليها فأنفقناها، فأتاني رسوله فقلت: إنا قد احتجنا إليها.

---

(١) الحلية (٢/٣٦٢).

(٢) الحلية (٩/٣١٨، ٣١٩).

قال: وليس في بيتي شيء!

قال: فكنت أدعو: يا رب لا تخرب أمانتي وأدها.

قال: فخرجت فحين وضعت رجلى لأدخل، فإذا رجل يأخذ بمنكبي لا أعرفه، فدفع إلىَّ صرة فيها مائة دينار، فأداها فأصبح الناس لا يدرون من أين ذلك؟!

فما علموا من أين ذلك حتى مات عامر وابن المنكدر، فإذا رجل يخبر.

قال: بعثني بها إليه عامر بن عبد الله بن الزبير، فقال: ادفعها إليه ولا تذكرها حتى أموت أنا، أو يموت ابن المنكدر.

قال: فما ذكرتها حتى ماتا جميعًا.

وفي رواية أخرى: فكنت أدعو: يا رب لا تخرب أمانتي وأدها، فسمعه عامر بن عبد الله بن الزبير، فذهب فوزنها فجاء بها، فلما سجد محمد بن المنكدر وضعها على نعليه[1].

❁❁❁

(٩١) قصة العابد البكَّاء

عن محمد بن المنكدر -رحمه الله-

أنه بينما هو ذات ليلة قائم يصلي، إذ استبكى وكثر بكاؤه حتى فزع أهله، وسألوه: ما الذي أبكاه؟ فاستعجم عليهم وتمادى في البكاء، فأرسلوا إلى أبي حازم فأخبروه بأمره.

فجاء أبو حازم إليه فإذا هو يبكى.

قال: يا أخي ما الذي أبكاك، قد رُعت أهلك أفمن علةٍ، أم ما بك؟!

قال: فقال: إنه مرت بي آية في كتاب الله عز و جل.

قال: وما هى؟

قال: قول الله تعالى: ﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ ﴾[2].

---

(١) الحلية (١٥٣/٣).

(٢) سورة الزمر: ٤٧.

قال: فبكى أبو حازم أيضًا معه، واشتد بكاؤهما.

قال: فقال بعض أهله لأبي حازم: جئنا بك لتفرج عنه فزدته؟!

قال: فأخبرهم ما الذي أبكاهما(١).

وجزع محمد بن المنكدر عند الموت، فقيل له: لم تجزع؟

فقال: أخشى آية من كتاب الله عز وجل، قال الله تعالى: ﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ ﴾ (٢).

وإني أخشى أن يبدو لي من الله ما لم أكن أحتسب(٣).

(٩٢) قصة العابد مع زوجته

قالت امرأة حسان بن أبي سنان:

كان حسان يجيء فيدخل معي فراشي، ثم يخادعني كما تخادع المرأة صبيها، فإذا علم أني نمتُ سل نفسه فخرج، ثم يقوم فيصلي.

قالت: فقلت له: يا أبا عبد الله، كم تُعذب نفسك؟! ارفق بنفسك.

فقال: اسكتي، ويحك، فيوشك أن أرقد رقدة لا أقوم منها زمانًا(٤).



(٩٣) قصة عابد في السياق

قال إياس بن فلان:

انطلق الحسن البصرى، وانطلقت معه إلى أبي نضرة نعوده، فقال له أبو نضرة: ادن

(١) ، (٣) الحلية (١٤٦/٣)، السير (٣٥٥/٥)، صفة الصفوة (١٤١/٢).

(٢) سورة الزمر: ٤٧.

(٤) الحلية (١١٧/٣).

مني يا أبا سعيد، فدنا منه، فوضع يده على عنقه، وقبَّل خده، فقال الحسن البصري: يا أبا نضرة، إنك والله لولا هول المطلع لسر رجالاً من إخوانك أن يكونوا فارقوا ما هاهنا.

فقالوا: يا أبا سعيد، اقرأ سورة، وادع بدعوات، فقرأ سورة الإخلاص، والمعوذتين، وحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي ﷺ، ثم قال: اللهم مس أخانا الضر وأنت أرحم الراحمين.

قال: فبكى أبو نضرة، وبكى الحسن، وبكى أهل البيت رحمة لأخيهم، قال: فما رأيت الحسن بكى بكاءً أشد منه.

وقال أبونضرة: كنت أنت يا أبا سعيد الذي تصلى عليَّ[١].



(٩٤) قصة العابد مع الراهب

قال حاتم الأصم: مررت براهبٍ فقلت له: يا راهب، ألا سألت معبودك أن يظهر لنا آية.

فقال: وأى آية؟

فقلت له: نخلة عليها رطب، فأدخل الراهب رأسه إلى صومعته، ثم أخرجه فقال: التفت وراءك.

قال: فإذا نخلة عليها رطب، ثم يا حنيفي سألتك ألا سألت معبودك أن يظهر لنا آية؟

فقلت: أي أيةٍ تريد؟

قال: زرع حول النخلة.

قال حاتم: فخررت ساجدًا وقلت في سجودي، اللهم إن كنت تعلم أدعوك غيرة لدينك فأظهر لنا هذه الآية، فرفعت رأسي فإذا بزرعٍ حول النخلة، فقلت: يا راهب، بما دعوت معبودك؟

(١) الحلية (٣/٩٨).

قال الراهب: يا هذا، إنه وقع في نفسي الإسلام، قبل أن تأتيني، فرددت رأسى إلى صومعتي، وخررت ساجدًا إلى قبلتكم، وقلت:

اللهم إن كان ما ألقيته في قلبي حقًا فأظهر له الآية.

قال حاتم: فأرى الشيء من موضع واحد فأسلم الراهب[١].



(٩٥) قصة فرح العابد بدعاء الأعرابي

قال سفيان بن عيينة –رحمه الله–:

بينما أنا أطوف وإلى جانبي أعرابي يطوف ساكنًا، فلما أتم الطواف جاء إلى المقام، فصلى ركعتين، ثم قام حذاء البيت، فقال: إلهي.. مَنْ أولى بالزلل والتقصير مني، وقد خلقتني ضعيفًا؟!

إلهي.. ومن أولى بالعفو عني منك، وعلمك فيّ سابق، وقضاؤك بي محيط، أطعتك بإذنك، والمنة لك، وعصيتك بعلمك والحجة لك.

فأسألك بوجوب حجتك عليَّ وانقطاع حجتي، وفقري إليك، وغناك عني إلا ما غفرت لي.

قال سفيان: ففرحت فرحًا ما أعلم متى فرحت مثله حين سمعت هذه الكلمات[٢].

❁❁❁

(٩٦) قصة عابد ترك المساكنة لما يشبه الكرامة

قال أبو عثمان بن النيسابورى:

خرجنا جماعة مع أستاذنا أبي حفص النيسابوري إلى خارج نيسابور، فجلسنا فتكلم الشيخ علينا، فطابت أنفسنا، ثم بصرنا بأيل– كالغزال– قد نزل من الجبل حتى برك بين

---

(١) الحدائق (٣/٣٣٢) لابن الجوزي.

(٢) الحدائق (٣/٣٣٨).

يدي الشيخ، فأبكاه ذلك بكاء شديدًا.

فلما سكن سألناه، فقلنا: يا أستاذ، تكلمت علينا، وطابت أوقاتنا، فلما جاء هذا الوحش، وبرك بين يديك أزعجك وأبكاك؟!

فقال: نعم رأيت اجتماعكم حولى، وقد طابت قلوبكم، فوقع في نفسي: لو أن شاة ذبحتها ودعوتكم عليها، فما تحكم هذا الخاطر حتى جاء هذا الوحش فبرك بين يدي فخيل لي أني مثل فرعون الذي سأل ربه أن يجرى له النيل فأجراه له.

قلت: فما يؤمنني أن يكون الله تعالى يعطيني كل حظٍ لي في الدنيا، وأبقى في الآخرة فقيرًا لا شيء لي، فهذا الذي أزعجني(١).

❀❀❀

(٩٧) قصة أمانة الزاهد القيسى

لما هبط المسلمون أرض المدائن ببلاد الفرس، وجمعوا الغنائم، أقبل رجلٌ بوعاءٍ كبير مملوء بالجوهر والتحف، فدفعه إلى صاحب المدائن، فقال والذين معه:

ما رأينا مثل هذا قط؟! ما يعدله عندنا ولا يقاربه!

فقالوا: هل أخذت منه شيئًا؟

فقال: أما والله لولا الله ما أتيتكم به، فعرفوا أن للرجل شأنًا، فقالوا: من أنت؟

فقال: لا والله لا أخبركم لتحمدوني، ولا غيركم ليُقرظونى، ولكنى أحمد الله وأرضى بثوابه.

فأتبعوه رجلاً حتى انتهى إلى أصحابه فسأل عنه؟ فإذا هو عامر بن عبد قيس، أحد عُبَّاد التابعين الزهاد(٢).



(١) الحدائق (٣٥١/٣) لابن الجوزي.
(٢) تاريخ الطبري (١٧٦/٤).

(٩٨) قصة الفتى العابد مع المرأة السوء

كان شيخًا يُقرئ الطلبة، فكان إذا جلس للإقراء تُشمُّ منه رائحة المسك، فقيل له في ذلك، فقال: إني كنت أيام شبابي أقرأ على الشيخ، وكنت ألقى في طريقي امرأة سواء تسلِّم عليَّ غدوة وعشية، إلى أن قالت لي يومًا:

أيها الفتى، إن سيدتي أتاها كتابٌ من بعض قرابتها فعسى أن تدخل معي إلى داخل الدويرة، تقرؤه عليها، وتكون وراء ستر تسمعك، فإنها من أهل الصيانة.

فقلت لها: نعم، ودخلت، فلما توسطت الدار قعدت السوداء، وخرجت لي جارية كأنها فلقة قمر.

فقالت: ادخل، فخجلت وأردتُ الانصراف، فرجعت إلى الأبواب فوجدتها قد غُلّقت، ورمت يدها في أثوابي، وقالت لي:

كم لك تعذبني ؟! والله لا زلت من يدي حتى تفعل معي ما يفعل الرجل بأهله!

فقلت لها: اتق الله أيتها المرأة.

فقالت: دع عنك هذا، وقم، فقلت لها: إني أريد الدخول إلى بيت الماء.

فقالت: نعم، فقمت ودخلتُ إلى المرحاض، وطليتُ رأسي بالعذرة وثيابي، وخرجتُ فنظرت إليَّ فنادت خادمتها:

أخرجى عني هذا الأحمق، ففتح لي الباب، وخرجت إلى البحر فاغتسلت، وغسلتُ ثيابي، وشكرت الله تعالى على العافية.

فمن ذلك اليوم عوّضني الله بهذه الرائحة التي تُشمُّ عليَّ[١].



(١) جنة الرضا (١٧٨/٢) للغرناطي.

(٩٩) قصة العابد المتوكل على الله

قال أبو قدامة الرملي: قرأ رجلٌ هذه الآية:

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴾ [١].

فأقبل عليَّ سليمان الخواص، فقال: يا أبا قدامة، إنه لا ينبغي لعبدٍ بعد هذه الآية أن يلجأ إلى أحدٍ غير الله في أمره، ثم قال:

يا أبا قدامة، لو عامل عبدٌ الله – عز وجل- بحسن التوكل عليه، وصدق النية له بطاعته، لاحتاجت إليه الأمراء، فمن دونهم، فكيف يكون هذا محتاجًا ومؤمله، وملجؤه إلى الغنى الحميد[٢].



خاتمة

(١٠٠) قصة لقاء العابد بالعُبَّاد

قال بشر بن بشار المجاشعي، وكان من العابدين:

لقيت عُبَّادًا ثلاثة ببيت المقدس، فقلت لأحدهم: أوصني؟ قال: ألق نفسك مع القدر حيث ألقاك، هو أحرى أن يفرغ قلبك، ويقل همك، وإياك أن تسخط ذلك، فيحل بك السخط، وأنت عنه في غفلةٍ لا تشعر به.

قال: وقلت لآخر: أوصني؟

قال: ما أنا بمستوصٍ فأوصيك.

---

(١) سورة الفرقان: ٥٨.

(٢) التوكل على الله (٣٧) لابن أبي الدنيا.

قلت: عليَّ ذلك، عسى الله أن ينفع بوصيتك.

قال: أما إذا أبيت إلا الوصية فاحفظ عني: التمس رضوانه في ترك مناهيه، فهو أوصل لك إلى الزلفى لديه.

قال: فقلت لآخر: أوصني، فبكى، واستحر سفوحًا- يعني بالدموع – ثم قال: أي أخي، لا تبتغ في أمرك تدبيرًا غير تدبيره، فتهلك فيمن هَلَك، وتضل فيمن ضلّ[1].

تم الكتاب

والحمد لله أولاً وآخرًا

وعلى رسوله مصليًا ومسلمًا

أبو مريم

---

(١) الرضا عن الله (ص/١٠٣) لابن أبي الدنيا.

الفهرس


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com